محمّد الفاضل بن عاشور:
مؤرّخا للأدب من خلال
" الحركة الأدبيّة والفكريّة في تونس"

- 1 -

بقلم: كمال التومي

المقدّمة:

إنّه لمن المعروف جدّا أنّ الكتابة طوعيّا في سياقها وتاريخها وواقع مجتمعها لاعتبارين أساسيين لا يمكن عزل أحدهما عن الآخر: أوّلهما أنّ الأدب الأدبيّة تنفّس للكينونة في فضاء الخلق وصنع للحياة في نشوة عشق للخلود في الزّمن الرّهيب الذي كان يدمّر الإنسان بأوجاع الوعي بأنّه الكائن المتغيّر الآيل إلى فناء كجميع الخلق من حوله والأشياء.هذا وجه وجودي للعمليّة الإبداعيّة ولكلّ تأليف أراد التمرّد على رزيّة الموت وبليّة الاندحار.

أمّا الوجه الثّاني، وليس الوحيد المتبقّي، فإنّه الذي يكسب الأدب عامة روحا متحرّرة عندما تنخرط بيئته يتأثّر بها، وتصقل شخصيته وفق الصّورة العامّة التي تكون عليها، وثانيها أنّ الأديب ابن بيئته يتأثّر بها، وتصقل شخصيته وفق الصورة العامّة التي تكون عليها، وثانيهما أنّ الأدب يمثّل مجالا لمدارسة القضايا والمساهمة في حلّ المشكلات الموجودة على السّاحة أو التّفكير فيها على نحو يجعلها قضايا عامّة ومشاغل جماعيّة تلتفّ حولها الأذهان وتولّد عنها الأفكار.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولذلك انكبّ كلّ قوم على أدبهم يتدارسونه، وحتّى على آداب غيرهم من الأمم يتطارحونها لما يجدون فيها كلّها من القيم الفنيّة المترجمة عن التوق المتواصل لاحتضان الجمال والاستمتاع بالخلق في نشوة روحيّة كبيرة. ولما يجدون فيها من العبر والحكم والأفكار الّتي قد تصلح في الحاضر والمستقبل كما صلحت في الماضي فتعتدل الأمور وتستقيم الأحوال.

وتونس، باعتبارها جزءا من هذا الوطن العربي ومن العالم، شهدت حركة أدبيّة ما انفكّت تتنامى وتتطوّر بحسب ما حدث فيها من تحوّلات سياسيّة واجتماعيّة في مراحل متعاقبة من تاريخها. بيد أنّه توجد حقيقة جليّة وهي أنّ الكثير من التونسيين، وممّن في البلدان العربيّة لا يعرفون عن هذا التاريخ الأدبي إلاّ بعض حلقاته منقطعة عن السّلسلة العامة، أو بعض الأسماء الّتي تألّقت وذاع صيتها في الشّرق والغرب، وهي الّتي كان لها من الشهرة حظّ أوفر باعتبار انتمائها إلى مدرسة أدبيّة أو مذهب فكريّ محدّد. وهؤلاء الأدباء قد حظيوا بالرّعاية والعناية والاهتمام، وميّزوا من خلال احتفال المؤسّسة التّعليميّة بهم سواء في الدّراسة الثّانويّة أو الجامعيّة، فوهبوا أعمارا جديدة فوق أعمارهم.فهل أنّ أدباءنا هم أبو القاسم الشّابّي والميداني بن صالح وبيرم التونسي ومحمود قبادو والمنصف الوهايبي ومحمّد الغزّي ومن تبقّى ممّن اشتهروا في مجال الشّعر، وعلي الدّوعاجي ومحمود المسعدي وحسن نصر ومحمّد صالح الجابري وخريف والفارسي وغيرهم من المشاهير في مجالي القصّة والرّواية؟ وهل أنّ أدبنا هو ما جاء من مؤلّفات في الشّعر والقصّة والرواية لهؤلاء المبدعين فحسب؟ بكلّ تأكيد لا. والإجابة هنا

إلى مدوّنة ذات لون أدبي مخصوص وهو محاولة البحث في تاريخ الأدب التونسي بالاشتغال على حياته قرابة ثلاثة أرباع قرن [بين 1883 - 1951]. وهو طريف طرافة النصّ التحديثي إذ يعدّ من مؤلّفات الأولى التأسيسيّة في الفكر التونسيّ، حيث اهتمّ بالظّاهرة الأدبيّة في محاولة تاريخيّة، هذه الظّاهرة الّتي تعدّ حركة لها قانونها، وتتحكّم فيها عوامل مختلفة.

كما أنّ طرافته تستمدّ وجودها من محاولة الكتاب رفع الستائر عن مناطق شمسيّة حيّة ترعرع فيها الأدب، والبحث في صفحات الذّاكرة الإبداعيّة التونسيّة سقيا لزهرة الأدب بالتحليل و النّقد والاستقراء ولم يكن من هواجس المؤلّف البحث في مناطق مختلفة قد تحيل عليها النّصوص المرصودة في تلك المراحل التّاريخيّة، فقراءته لم تكن إبداعيّة تكشف عن الأسرار الجماليّة في الفنّ والفكر، وإنّما كانت تقصد إلى الإثبات والتّوثيق والتّأصيل.

ولقد دوّنت صفحات هذا الكتاب في مرحلة نشاط اجتماعي وسياسيّ ترتّبت عنها حركة فكريّة وأدبيّة، فاستفزّت المؤلّف "شهيّة" معرفيّة كبيرة للنّظر في الأدب وإحياء تاريخه وتجديد العهد معه بعد أن جاهد الشّعب التّونسي السّلطة الاستعماريّة الفرنسيّة طيلة خمس وسبعين سنة من النّضال والكفاح، كما لاقى من سياسات التّعذيب والتّغريب والحصار الثّقافي ومحاولات طمس الهويّة وكلّ مظاهر التسلّط الفكريّ، وكأنّ فعل التدوين ردّ مباشر بطريقة البحث الرصينة على فكرة سعي المستعمر إلى ترويجها و هي أنّنا أمّة لا تاريخ ولا ثقافة لها، ولا تليق بها إلاّ المنزلة الإنسانيّة الكونيّة السّفلى، فتتحكّم فيها سيادة خارجيّة.

كما أنّ هذا الكتاب لم يرد لدراسة الاتجاهات الفكريّة الّتي تسم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الإبداع بفنون من العلامات الخلاّقة المميّزة، الكاشفة عن هويّة كلّ أثر، ولم يرد لتتبّع حركة جنس من الأجناس الأدبيّة المتنامية بقدر ما جاء لتأصيل الأعلام الذين اشتهروا في مجال الأدب وخاصّة أولئك الّذين انخرطوا في "الحركة الوطنيّة" و" الحيلة الفكريّة" الّتي أنيطت بعهدة طوائف من الشّباب التّونسيين الثّوريين، كان من بين أهدافهم ومراميهم التّصدّي لكلّ محاولات " مسخ الذاتيّة" و"دوس الشخصيّة التّونسيّة".

وكان الدّفاع الوطني الّذي أدّى بتلك الطوائف إلى الإبداع هو نفس الدّفاع الّذي يقبع وراء محاولة الشّيخ محمّد الفاضل بن عاشور الّذي أراد أن يفيد جيل عصره والأجيال المتلاحقة في العصور المتعاقبة بهذا المرجع الّذي يكوّن جزءًا من مدوّنه اهتمّت بنفس البحث سواء أقامت دراستها من خلال الاهتمام بالأدب في مراحل تاريخيّة متعاقبة على غرار محاولات محمّد صالح الجابري في القصّة والرّواية والشّعر، أم أقامتها بالتّركيز على مدرسة أدبيّة أو اتّجاه فكري مثل محاولة رشيد الذّوادي في كتابه " جماعة تحت السّور"، حيث يقول فيه " وأدبنا التّونسيّ في حاجة إلى الكشف، في حاجة إلى أكثر من دراسة تعرّف به وتقرّبه من المهتمّين بالبحث في الومضات الّتي ينبثق منها وهج الشّمس ليسمو بمديها الإنسان الحائر فيتطلّع إلى دنيا جميلة وإلى آفاق جديدة تثير في النّفس الشّوق إلى التّحليق في عالم الفنّ المبدع".

[1] ولعلّ الكتاب الّذي نحن بصدد النّظر فيه أنّه يشدّنا إليه بحكم ما فيه من إشارات قيّمة إلى حياة الأدب التونسي متأثّرة بجملة من العوامل كاشفة عن ملامح تميّزه وتكسبه خصوصيّاته المختلفة.

عوامل الحركة الأدبيّة التونسيّة:

من مظاهر التميّز في هذا الكتاب

أنّه جاء لرصد تاريخ الأدب التونسي في محاولة لإنارة سبيل الدّارس حتّى يتوقّف بالأساس عند شبكة العوامل الّتي تداخلت والمقوّمات الّتي تواشجت حتّى ينشأ ويترعرع وينمو، وتكون له سماته المميّزة في كلّ مرحلة تاريخيّة. وقد يضيق المجال هنا لدراسة كلّ العوامل والإحاطة بها علما، كما توفّر عليها الكتاب مع ما يقتضيه ذلك من تحليل وتعمّق في بيان علاقتها الفعليّة بتطوّر الأدب وتاريخه.

ولقد جاءت هذه العوامل في الكتاب بطريقة منهجيّة قوامها على التبويب حينا وعلى التّحليل التّاريخي أحيانا حيث ختم محاضراته السّبع الأولى بركن ثابت جعل له عنوانا متكرّر الصياغة ولكنّه مختلف في أفكاره الدّاخليّة هو "عوامل التّطوّر الأدبي". وفي هذا السّياق يتحدّث عن العوامل الشّرقيّة، إذ شهد الشرق حركة فكريّة واسعة النطاق كان لها الأثر العميق في نشاط الأدب الّذي تجلّى في الكتابات الّتي تطلع بها الصحف والمجلات "فتنفعل النّفوس بتونس بروعتها وتتذوّق متعتها وتعكف على سحرها وجمالها" [2]من خلال " الأدب النثري الجديد" ورمزه " حديث عيسى بن هشام" **محمّد المويلحي** الّذي نشر فصوله في جريدة [مصباح الشّرق] والأدب الشّعري الجديد الذي صدر أيضا في الجرائد، وكان قريبا من حركة الإصلاح الفكريّ والدّينيّ. ويعتبر المؤلّف أنّ هذا الشّعر بأشكاله ومضامينه كان له السّلطان الأعظم على حركة الأدب والفكر بتونس، هذا بالإضافة إلى بعث الأدب القديم شعره ونثره ونقده " **فأقبلوا عليه ورووه وتدارسوه وانعكست على منشآتهم الأدبيّة آثار منه وتبيّنت في نهجهم على أساليب ومناهج منافية لمألوف الأدب القديم ومتمشية مع ما تولّد من روح النهضة من طبع وفكر.**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

[3] كما تحدّث المؤلّف عن عوامل محلّية تجسّدت فيما يلي:

1- ظهور المطبعة الرّسميّة:

لئن مثّلت فترة حكم المشير الأوّل أحمد باي [1837 - 1855] فترة الأحلام السّياسيّة ببناء دولة عصريّة تصاغ على شاكلة النّموذج الأوروبي خاصّة بعد أن راودته الفكر عند رحلة إلى فرنسا وتأثّره بما شاهد، فإنّ " **انعكاسات هذه التطلّعات وتجسيم جانبها الفكريّ والتعليمي أخذ مداه الحقيقيّ في الفترات اللاّحقة إبّان خلافة كلّ من محمّد باي [1856- 1859] ومحمّد الصّادق باي [1859 - 1882] على تونس** " [4]، حيث أنشئت المطبعة الرّسميّة سنة 1860 لتعكس ميلا واضحا إلى تأسيس حركة فكريّة وأدبيّة قائمة على الطّبع والنّشر، وقد رافق هذا الإنجاز ميل إلى الإطّلاع والقراءة، إذ أقبل النّاس على قراءة ما يصدر من مجلاّت وصحف، وأقبل الأدباء على الكتابة شعرا ونثرا، وينشرون ما يكتبون في [الرائد التونسي] و[الحاضرة] و [عصر الدّين] و[الصّواب] و [الزّهرة] و[الرّقيّ] و [أبو نواس] و[السّعادة العظمى] وغيرها ممّا كان يصدر في ذلك العهد.

وإذا كان هاجس الصّحف فكريّا وإصلاحيّا حضاريّا، فإنّها قد فتحت أحضانها وصفحاتها لاستقبال كلّ ما ينشأ من أدب، إذ لم يخل عدد من أعداد كلّ صحيفة من قصيدة أو بعض القصائد ومن مقالات النّثر السّياسي والفنّي، إذ لم يخل عدد من أعداد كلّ صحيفة من قصيدة أو بعض القصائد ومن مقالات النّثر السّياسي والفنّي، إذ وجد الأدباء ، " الأشدّاء منهم والمبتدئون " مجالا فسيحا لاختبار قدراتهم وصقل مواهبهم والتّعبير عن هواجسهم وعرض مشاغلهم. فبالإضافة " إلى الدّور الذي اضطلعت به

[الرّائد التونسي] في تشجيع الشّعر والنّثر، نجد إدارة مطبعتها تهتمّ اهتماما خاصّا بنشر المطبوعات والكتب العلميّة والرّحلات والمؤلّفات الأدبيّة والنّقديّة ". [5]

2- تأسيس المدارس والمعاهد

لقد جاء حديث المؤلّف عن هذه المدارس مستفيضا راشحا بما كان من المعاني مؤكّدا على دورها الرّيادي في التّعليم والتّوعية والتّرشيح، باعتبارها المهود الأولى لتطوير الفكر وصقل الموهبة وتعليم الناشئة. وقد كان تأسيسها موصولا بنفس الهدف الذي أنشئت من أجله المطبعة الرّسميّة وبعثت الجرائد والصّحف والمجلاّت، وهو أن تكوّن أفواجا من المتعلّمين يسهمون في حركة الإصلاح ويأخذون المشاعل عن أساتذتهم الأحلاء ويترسّمون خطوات البلدان الأوروبيّة التي بلغت أوج الرّقيّ: فتأسّست بباردو المدرسة العسكريّة سنة 1860 وتخرّجت منها نخبة من الضبّاط الذي أثّروا التأثير الواضح في الحياة السّياسيّة والفكريّة، كما تأسّس المعهد الصّادقي سنة 1874 والمدرسة الخلدونيّة سنة 1896 التي كانت " مشروعا ثقافيّا تظافرت على إنجازه ورعايته وإدارته جهود ثلّة من الوطنيّين التونسيّين بهدف إقامة التوازي بين المناهج التعليميّة الّتي كانت تشرف على تسييرها السّلطة الاستعماريّة... وبين المناهج التعليميّة التقليديّة" [6].

كما تنخرط مجموعة الإصلاحات الّتي حدثت بجامع الزّيتونة في هذا السياق التطويريّ للحياة الفكريّة والأدبيّة التونسيّة النّشيطة إذ كلّفت لجنة " بتخطيط برامجه وضبط مناهجه" وتعيين ضوابط ومقاييس لاختيار الأساتذة المدرّسين به. وفي الجملة فإنّ هذه المدارس كان لها الدّور الكبير في تنشيط حركة الأدب وضخّ روافد الحياة في شرايينه، حيث كانت فحص

بتحقيق تكوين متين يجمع بين اللغة والأدب والفكر " متأثّرة بالمبادي التي جاهد دعاة الإصلاح في سبيلها " [7]

3- العوامل التاريخيّة والفكريّة:

لئن جسّمت بعض التواريخ الواردة في الكتاب ميلا واضحا إلى معالجة عامل أساسيّ من عوامل تنشيط الحركة الأدبيّة، فإنّ الحديث عن الحركة الفكريّة يغطّي القسم الأوسع مدارا باعتباره المحاجس المركزيّ الّذي أراد المؤلّف الاشتغال عليه، وإذا كان اهتمام المؤلّف بالنّاحية التّاريخيّة يستمدّ مشروعيّته من خلال أشكال الوشائج والرّوابط الّتي تصل بين الحياة الاجتماعيّة والسّياسيّة في مرحلة ثقلت موازينها بمظاهر التميّز وعلامات الخصوصيّة، فإنّ الحديث عن حركة الفكر يستمدّ مشروعيّة من حيث كونها الأدم المؤسّس للأدب بأشكاله وأساليبه ومضامينه التي كانت " بيد رجال تكوّنت ثقافتهم على المنهج القومي" كما أنّ أغلبها يلوذ بالقضيّة الإصلاحيّة والنّهضة التّونسيّة وهي جزء لا يتجزأ من القضيّة العربيّة الكبرى بحكم القواسم المشتركة والسّمات الغالبة على هذه البلدان من تخلّف ومشاكل اقتصاديّة وتحيّز في هوامش الحركات الفكريّة الإنسانيّة وخضوع إلى السّلطات الاستعماريّة...

إنّ الفكرة الإصلاحيّة، كما بنصّص المؤلّف، كانت تندرج في صميم الاهتمامات الأدبيّة في أواخر القرن التّاسع عشر وبداية القرن العشرين، وكانت مشغلا اهتمّ به الأدباء والمثقّفون ومن أسعفتهم قرائحهم وتكوينهم العلميّ بالفكر والنّباهة والوعي بأنّ الإنسان كائن وعي وإرادة، كائن تاريخي واجتماعيّ لا تتحدّد قيمته إلاّ من خلال اضطلاعه بالدّور الذي تمليه الحقيقة الاجتماعيّة. وكانت هذه الحركة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الإصلاحيّة جذور ودواع من الدّاخل والخارج:

أ – من الدّاخل:

لقد أتسم حكم تونس خاصّة منذ ولاية المشير الأوّل أحمد باي " بصبغة الفكرة الإصلاحيّة" [8] على أن تتخلّص البلاد من الأسر والقيود التي كانت تكبّلها، نتيجة تطاول القوات الاستعماريّة الفرنسيّة، كما نشأت فكرة المقاومة الوطنيّة " للتحرّر من التبعيّة العثمانيّة المباشرة"، ومن ثمّة تولّد الوعي بضرورة البحث في الأسباب والحلول الكفيلة بتحقيق تلك الغاية النبيلة بسعيها بتأسيس المدرسة العسكريّة لتدريس العلوم الحربيّة واللّغات، وقد جعل الشّيخ الشّاعر **محمود قبادو** أستاذ اللغة العربيّة والتربية الدّينيّة، وكان الاحتكاك بين العقليّة العربيّة والعقليّة الغربيّة عبر الترجمة والقراءة قد أدّى إلى أتقاد " شعلة مذهب فكري له نظرياته الأصلية وقواعده الأساسيّة وأتجاهاته المجرّدة التي تصوّر الأشياء على ما عليه حقيقتها وذاتها" [9].

ويستغلّ المؤلّف فرصة الحديث عن تأسيس هذه المدرسة بتقديم شخصية الشّيخ **محمود قبادو** والخصائص التي تميّز إرادته عن الإدارة السّياسيّة آنذاك بأتساع وجهة النّظر وإمداد آفاق التفكير حيث خرج بطرح مسألة النهضة من الصّورة الجزئيّة الضيّقة ومن التفكير الآني إلى صورة أوسع مدارا حيث النّظر للتنقيب عن حلول تخلّص الأمّة من الكرب والآلام في مستقبل أيامها عسى أن تلحق الرّكب الغربي الّذي تجاوزها بقرون.

ولقد انخرط في هذا السّياق الإصلاحي كذلك **خير الدّين التونسي** [182– 1889] بكتابه "أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك" والكاتب والمؤرّخ أحمد بن أبي الضياف بكتابه" إتحاف أهل الزّمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان"

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

[1804 - 1874] ومحمّد بيرم الخامس وسالم بوحاجب ومحمّد السّنوسي وغيرهم من المفكّرين والأدباء الغيّورين على روح هذا الوطن والأمّة، والواضح أنّ الأدب الّذي أنتجه هؤلاء قد صيغ متأثّرا بإيقاع النّشاط الفكري والحركة الإصلاحيّة.

ب- في الخارج:

إثر حصول الفوائد العلميّة وحسن ثمار المعرفة من الدروس والمطالعات والترجمات عن الكتب الغربيّة انكشف لمفكّرينا - كغيرهم من روّاد الإصلاح في البلاد العربيّة - أنّ تحقيق النّجاح وضمان التّجاوز لا يكون إلاّ باسترداد ما كان العرب قد فرّطوا فيه أي "العلوم الحكميّة والرّياضيّة " التي كانت أمس سرّ عزّة وسبب مناعة للعرب المسلمين. فالإسلام لا سبيل إلى أن يأخذ بحظّه من السّعادة **إلاّ باستعادة نهضة هذه العلوم الّتي أضاعتها، ولا سبيل إلى ذلك إلاّ بالتباسها عن الأوربيين بالنّقل والتعلّم**" [10]

هذه الفكرة قد تركّرت بظهور أدب الرحلات لا في تونس فقط، وإنّما كذلك في كافة البلدان العربيّة التي كان مفكّرونا يلتقطون بعض أصدائها. فظهرت في هذا الموضوع جملة من المؤلّفات كـ ((تخليص الإبريز في تلخيص باريز)) لرفاعة رافع الطهطاوي، و ((إتحاف أهل الزّمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان)) لابن أبي الضياف، و((أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك)) لخير الدّين التونسي، الّذي لم يخرج عن هذا الإطار الوصفيّ إذ استثمر فيه ما تلقّفه من أخبار وأحاديث عن أوروبا صدرت عن علماء ومحنّكين.

إنّ هذه العوامل الّتي تقدّم ذكرها جاءت في كتاب ((الحركة الأدبيّة والفكريّة في تونس)) فأعطته بعدا تاريخيّا تحليليّا خاصّة وأنّها تشرح كلّ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العناصر الّتي أحاطت بحركة الأدب وتفسّر علاقتها به وسلطتها عليه في كلّ مرحلة من مراحله، حيث تفاوتت تأثيراتها فيه، ومن ثمّة تفضي بنا معالجة عوامل الحركة الأدبيّة إلى التساؤل عن ملامحها كما توفّر عليها الكتاب.

ملامح الحياة الأدبيّة:

لقد أجمعت كلّ المؤلّفات الّتي صدرت في تاريخ الأدب التونسي أو في معالجة تيّار الواقعيّة في القصّة والرّواية، أو في دراسة حركة الشّعر التونسي خلال القرنين التاسع عشر والعشرين على أنّ الأدب قد تأثّر بسياقه وسرت إليه رياح ممّا ألمّ بالنّاس من المآسي والهموم الّتي مرجعها إلى ما خلّفه الحكم العثماني في النّفوس من يأس وضعف، وما أورثه الاستعمار الفرنسي في القلوب من كمد. ومن هنا جاءت الكتابة الأدبيّة بأنواعها كالمرايا العاكسة للأحوال العامّة، وكرجع صدى ((للزّفرات المثقلة بالآلام والأنين، وتجسّد، كشكل من أشكال المواجهة للخروج من بوتقة الواقع المرير، حنينا إلى الماضي بكلّ مظاهره لأنّ العودة إليه والتقاءه يمنحان الإنسان فرصة الاتصال بالجذور والأصول، واكتساب الهواء اللازم يمتلىء به الصّدر فتتجدّد الطّاقة وينبعث الأمل البسّام، وتشرق شمس الفكر ويستأنف المسعى...

هذا الحنين عبّر عنه جنس أدبيّ كانت له الحظوة والإيثار أوّل عهد العرب بالأدب وهو الشّعر الّذي أكّد الكاتب على قيمته من حيث إنّه المجال المثبت لصفة ((الأديب)) في ظلّ غياب الأنواع الأخرى، أو في ظلّ حضورها الضّعيف، وممارسته دليل على ((تأصّل الثّقافة العربيّة في نفوس كتّاب هذه المرحلة وانصافهم العميق بالتراث الشّعري العربيّ... وما كانوا يتمتّعون به من مواهب فطريّة وسليقة أدبيّة كانت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تساعدهم على نظم [الشّعر] في يسر وسهولة وترويض القوافي والأوزان في اقتدار وتمكّن)) [11]

ويذكر الجابري أنّ عدد الشّعراء بين [1860 - 1920] يزيد على المائة شاعر وهو أمر يؤكّد أنه ركن ركين في الثّقافة العربيّة وقوام لمذاكرتنا الحيّة الخالدة.

ويعود فضيلة الشّيخ محمّد الفاضل بن عاشور وهو يدرس الشّعر إلى أنّه تقصّاه في تطوّره عبر التّاريخ في القرنين الماضيين. حيث بدأ في أواخر القرن التّاسع عشر ضعيف الرّوح معنى منهك الشّكل صياغة إذ ((استولى عليه البديع المصطنع فضعفت معانيه وتضاءلت فصاحته وتهلهل نسيجه وشاع فيه العبث والمجون)) [12]، ولم يكن إلاّ ترجيعا سيء المظهر للشّعر القديم في بعض معانيه وأغراضه كالمديح والرّثاء والغزل والوصف مع نزوع إلى معالجة قضايا جديدة ((كالشّؤون العامّة وترويج المبادىء الإصلاحيّة بالمعاني الشّعريّة))

[13] من قبيل حثّ بوحاجب على تعاطي النّشاط الفلاحي:

علينا عباد الله خدمة أرضنا
فما هي إلاّ في الحقيقة أمّنا
فمنها تكوّنا وفيها معاشنا
وإن عافنا الأهون فهي تضمّنا

ثمّ إنّ ظهور ((ثورة)) على الشّعراء الملتزمين بالأغراض الضّاربة في القدم قد فتح أمام الشّعر التّونسي آفاقا جديدة من قبيل التغنّي بالطّائرة والقطار والمنجزات العلميّة، ووصف ((غرائب المباني وعجائب الإبداعات المعماريّة)) هذا فضلا عن تأثّره بحركة الإصلاح الّتي أمست هاجسا شعريّا لدى أعلام ما سمّي ((بالشّعر العصري)) الّذي انتحى الشّعر التونسي منذ الإعلان عن فتح بابه ((منحى جديدا وأخذ شعراؤه يتنافسون في طرق الموضوعات المبتكرة ومحاولة الخروج التدريجيّ عن التقاليد الموروثة)) [14]

ومن أبرز شعراء هذا الطّور **محمّد النخلي والخضر حسين وصالح سويسي ومحمّد الحشايشي**، إذ ترجمت قصائدهم عن انفعالاتهم النّفسيّة وتفاعلهم مع قضايا السّلم والعدل والحريّة وردّ الطغيان والتجربة بعد ضيق النفوس بويلات الحرب وخيبات الأمل.

ومن ثمّة يتزع الشّعر إلى التطوّر في الطّريق الإيجابي عبر التخلّص من الأغراض القديمة والمعاني المتداولة التافهة والأشكال التقليديّة الّتي اهترأت لكثرة ما تكرّرت.((**لقد كانت قصة الشّعر قصة شملت أغراضه وقوالبه وظهر في ميدان الإنتاج الأدبي شعراء كثيرون برهنوا على عبقريات فائقة**)) [15]

كما أنّه تبنّى المشروع الإصلاحي إذ ((**توجّه إلى إيقاظ الأحاسيس وحمل الأمّة الإسلاميّة على الخروج من تخلّفها ومسارقة النهضة الغربيّة**)) [16]

ولئن تبوّأ الشعر المرتبة الأولى في المراحل التّاريخيّة التأسيسيّة الأولى الّتي عالجها المؤلّف أمام سائر الأنواع الأخرى، واحتلّ حيّزا كبيرا من المساحات الورقيّة الّتي توفّرها الصّحف والجرائد، فإنّ ذلك لم يمنع من ظهور النّثر بمختلف المظاهر الّتي حدّدته. ولقد حاول المؤلّف تقديمها مؤكّدا على تطوّرها واتّصالها بالأحداث العامّة وبأوضاع المجتمع في محاولة للتأريخ لها انطلاقا من المبدأ العامّ الذي يحكم نظام الكتاب وهو تقسيم تاريخ الأدب التونسي إلى مراحل تاريخيّة أشارت إليها محاضراته الثّماني.

وإذا كان الشّيخ ابن عاشور قد تحدّث عن تعدّد أشكال النّثر كالمقال السّياسي والتحرير العلمي كاشفا بذلك عن التنوّع والثّراء الذي وسم النشاط فإنّه اهتمّ اهتماما واضحا بأكثر الأشكال الفنيّة اتّصالا بالأدب في القرن التاسع عشر كالنّثر الفنّي،

وهو طريقة في الكتابة شاعت في ذلك العهد، وصيغ بأسلوب أدبي راق يتوافق مع ما يقرع الأدباء إلى التعبير عنه ممّا ولعت به نفوسهم واستفزّ أذهانهم وفتق قرائحهم ((ولئن بدا هذا النثر في مرحلته الأولى شديد التكلّف متأثّرا بأسلوب بديع الزّمان الهمداني والحريري في الترسّل والترصيع والتوشية والإغراق في الكلف بالجناس والطباق وضروب البلاغة القديمة، فإنه تدرّج في مرحلته الأخيرة من القرن التاسع عشر إلى التخلّص من هذه القيود الشكليّة والتخفّف منها للعناية بالفكرة والميل إلى الإبانة والوضوح)) [17].

والتفت حول هذا الفنّ أنامل مبدعة كان لأصحابها وعي بالنكبة التي أصابت البلاد، فتحرّرت في التأليف من أجل تناول ((القضيّة السّياسيّة العظمى)) [18] على نحو ما جاء في كتاب ((صفوة الاعتبار)) لمحمّد بيرم من البحث المستفيض في القضيّة التونسيّة وارتباطها بالسّلطنة العثمانيّة وفظاعة العدوان الفرنسي وما جاء في ((الرحلة الحجازيّة)) لمحمّد السّنوسي من بديع الوصف وقيّم الملاحظات وجليل الأفكار، وما جاء في ((حديث مع الراية)) لمحمّد بن الأيمن الخلصي من فيض خواطر وتأمّلات ووصف في أسلوب أدبيّ يكشف عن سموّ الذّوق الأدبي وعمق الفكر وطلاوة الفنّ المبدع.

أمّا في مجال الكتابة القصّة والرّواية، فيمكن ذكر أقصوصة ((السّهرة الأخيرة بغرناطة)) لحسن حسني عبد الوهاب وروايته ((الهيفاء وصراخ اللّيل)) لصالح السّويسي التي بدأ نشرها في مجلّة خير الدّين سنة 1906، ولقد أقامها المؤلّف ((على هيكل القصّة البسيطة، ضعيفة روح العقدة الروائيّة...)) [19]

وكانت الصّحافة التونسيّة آنـــذاك تؤدّي دورها الفكريّ والأدبيّ بالنّشـــر على غرار الصّحافة الشّرقيّة إذ مثّلـــت خير أدم لتركيز الحركـــة الأدبيّـــة في الفترة التأسيسيّة، وأفضل تربة لغـــرس بذرة الإبداع الّتي تســـقى مـــن ريّ الحوادث والتّاريخ، وتفيـــض خلقـــا وإنشاء.

والثّابت أنّ الفضل في ذلك يعـــود إلى ((جيل اليقظة الأدبيّة)) [بين 1830-1881]، حيث يؤكّد المؤلّف على قيمة الدّور الّـــذي قـــام بـــه المفكّـــرون التونـــسيّون كجيرم الخامس وخـــير الدّين التونسي وســـالم بوحـــاجب وصالح السّويسي و غيرهم في تشـــييد لبنات فكر النّهضة وتوجيـــه اهتمـــام النّاس إلى مسألة تســـمّى ((القضيّـــة التونسيّة)) من خلال ((تجسيم دعـــوة الإصلاح وغرس بذوره والتّعلّق بأمجـــاد الماضي)) [20]

ويتجسّد في هـــذا الأدب الميـــل الواضح إلى الأســـلوب الكلاســـيكي والمضمون المتولّد عن ظروف العصـــر بتفجّر الوعي الوطـــني بـــين [1914-1938] والكفاح التّحـــريـــري [1952 1956] وفي تلـــك الأثنـــاء ظهرت القصّة بمعـــــناها التّقـــنيّ ((مـــرورا بمحـــاولات الترجمـــة ثمّ الاقتباس وأخيرا الخلق)) وجـــاءت جماعة تحت السّور فطوّرت القـــصّة الّتي بلغت مداها خاصّة مـــع علـــي الدّوعـــاجي. ومـــن هنـــا تنوّعـــت الكـــتابات القصصيّة والرّوائيّة علـــى يد أدباء برعوا وكانوا أصحاب أقـــلام تمرّست بمنازلة الأشكال الفنيّة وبرعت في ارتياد آفاق الخلق والابتكار مثـــل محمود المسعدي والعروسي المطـــوي ومحمّد صالح الجابري وحسن نصـــر وغيرهم.

وفي الجملة، فإنّ هذا الأدب الّـــذي تحدّث عنه ابن عاشور متتبّعا أجناســـه متقصّيا أنواعه، مستشفّا ما يمكـــن أن يشير به تاريخه عبر محاولة تاريخـــه أدب واقعي ساهم في صلب معركة التحـــرّر

والفكر الإصلاحي، باعتبار أنّ الإبداع الحقّ في أوقات الأزمات لابدّ أن يتحرّك في فوهات المدافع وفي السواعد والحناجر الهاتفة بالثّورة والتّغيير. هذا من حيث أغلب مواضيعه كما عالجها الشّيخ ابن عاشور أمّا من حيث أشكاله، فقد غلب عليه الحنين إلى ماضي منابته، فاستمدّ منها طرق صياغتها وهياكلها وأساليبها، محاولا تجاوزها إلى عوالم الخلق والابتكار والاختراع.

في الأعداد القادمة

- صاحب الشقّة.....قصّة : عادل محفوظي
- الرّاحلون.....قصّة : شكري الشّامعني
- رسالة من تحت النّار.....قصّة : عادل الطّرابلسي
- شتاء الأقمار الزّرقاء.....قصّة : عبد الفتّاح بن حمّودة.
- الغريب.....قصّة : زهير بحياوي
- يحي.....قصّة : أمين بن عيسى الغزّي
- الأفواه الباردة.....قصّة : الزّين نور الدّين
- عمر لن يأتي اليوم.....قصّة : عبد القادر حميدة
- عهد الأمان.....مسرحيّة : الحبيب الدّهماني
- رينز إلى داخل القفص.....قصّة : عبد الرّؤول عدّاي
- سيّدة الذّباب الأسدى.....قصّة : عبد السّتّار جبر
- هذا النّور من تلك النّوافذ.....قصّة : هندة محمّد
- وردة إيكاروس.....قصّة : المولدي بن إبراهيم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

على هامش الإستشارة الوطنيّة للثّقافة
(تونس الغد في فكر مثقّفيها)

الثّقافة في تونس التّغيير : (الواقع و التحدّيات)

إعداد المنصف الكريمي

تعدّ الثّقافة مقياسًا من مقاييس تقدّم الأمم وتطوّرها، بل هي محرار رقيّها وتحضّرها، وتقاس الأمم كذلك بمستوى ثقافة شعوبها ومستوى حضارتها، ومن هذا المنطلق راهنت تونس العهد الجديد على الفعل الثّقافي للنّهوض بالمواطن التونسي، وانطلاقا من أنّ الثّقافة سلاح هامّ في عالم كثير التحدّيات متسارع التغيّرات وهي إلى جانب ذلك تشكّل عنصرا أساسيّا في حماية بلادنا من الانعكاسات و التأثيرات السّلبيّة للعولمة وبإمكانها إفراز نموذج متميّز للسّياسات الاقتصاديّة و الاجتماعيّة التي تضع في اعتبارها طموحات الشّعوب وقدراتها، من هنا أضحت الثّقافة منذ التحوّل حوارا وطنيّا بين كافّة الهياكل في صلب الدّولة، وفي هذا الإطار ووعيا من سيادة الرّئيس زين العابدين بن علي بحساسيّة المرحلة كان الرّهان على الفعل الثّقافي ففتح المجال واسعا في تونس للحوار الثّقافي والحضاري انطلاقا من المفهوم الواسع والشّامل للتّسامح كمبدأ إنساني هام ممّا يؤكّد أهمّيّة الثّقافة في بناء المجتمع الحديث الّذي يقوم على الأمن والاستقرار والعدالة الاجتماعيّة والدّيمقراطيّة إذ (بقدر ما تقتضي التّنميّة الاستقرار السّياسي والأمن الاجتماعي فهي في حاجة إلى ثقافة ترسّخ قيم العمل و المنافسة والجودة... وتوفّر العوامل الفكريّة والنّفسيّة الملائمة والمساعدة على إذكائها...) كما أكّد سيادة الرّئيس في

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إحدى خطبه، وانطلاقا من هذه المفاهيم والدور الهامّ للثّقافة في تشييد مقوّمات مجتمع الحداثة أعدّت الدّولة مخطّط ثقافي يقوم على عناصر الشّموليّة انطلاقا من التوجّه اللاّمركزي ويتوجّه إلى جميع فئات المجتمع المدني ويرعى المبدعين في كافّة القطاعات والمجالات ويولي اهتماما بكلّ ألوان الإبداع ممّا جعل الثّقافة في تونس منذ التّغيير المبارك (ركنا من أركان مشروعنا الإصلاحي وسندا متينا لمسارنا التنموي وأداة فاعلة في تكريس القيم الوطنيّة ونشر الوعي المدني وإذكاء تطلّعات المجتمع نحو الأفضل لاقتناعنا بأنّ التغيير الحضاري الّذي ننجزه أقدر على صياغة المجتمع الجديد متى استند إلى ثقافة واعيّة راقية) كما أكّد سيادة الرّئيس في إحدى خطبه.

ومن هذا المنطق تنوّعت التّظاهرات الثّقافيّة وتعدّدت في إطار لاموسميّة العمل الثّقافي وكانت الإنجازات الثّقافيّة على غرار بناء مكتبة وطنيّة عصريّة تواكب التطوّرات الحديثة في مجال صناعة الكتاب وتوظيف المعلوماتيّة و الوسائل الحديثة للأرشفة و التوثيق وقد أنجز القسط الأوّل من هذا المشروع الثّقافي الرّائد بما قيمته 04 مليارات و 500 مليون في انتظار القسط الثاني وقيمته 22 مليارا إلى جانب قرار سيادة الرّئيس والقاضي بوضع خطّة شاملة لتعميم ربط المكتبات والفضاءات الثّقافيّة بشبكة الأنترنات للتشجيع على البحث و تطوير الفعل الثّقافي بما يجعله مواكبا للتّطوّرات في هذا المجال، وقد تمّ إلى حدود 1999 مثلا ربط 23 مكتبة جهويّة بالأنترنات في مرحلة أولى وربط 36 مكتبة محليّة بهذه الشّبكة في مرحلة ثانيّة و50 مكتبة أخرى في مرحلة ثالثة من جملة 329 مكتبة عموميّة ببلادنا وانطلاقا من أنّ (الثّقافة سند للتغيير، وكلّ مشروع سياسي لا بدّ أن يوازيه مشروع ثقافي إن لم يسبقه ليبشّر به) كما قال سيادة الرّئيس، تعدّ الثّقافة في تونس اليوم قطاعا إستراتيجيا ضمن السّاحل لسياسة العهد الجديد في بناء تونس الحديثة ممّا جعل بلادنا تعيش مدّا ثقافيّا على امتداد السّنة من أبرز تجلّياته دعم الاعتمادات المرصودة لتشجيع العمل الثّقافي إذ بلغت جملة الدّعم الثّقافي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

للجهات خلال سنة 1999 مثلا ما يلي:

- الشّمال الغربي (ولايات سليانة، الكاف، باجة، جندوبة) : 20.7 مليون دينار
- الوسط الغربي (القيروان، القصرين، سيدي بوزيد) : 800 ألف دينار
- الوسط الشّرقي (سوسة، المنستير، المهديّة، صفاقس) : 9.2 مليون دينار
- الجنوب (تطاوين، مدنين، قبلي، توزر، قفصة) : 4.7 مليون دينار

وفي المجال السّينمائي تمّ دعم القطاع، ببعث مدينة للإنتاج السّمعي البصري بالجنوب التونسي، ودعم أيّام قرطاج السّينمائيّة باعتبارها ومنذ 1966 أوّل مهرجان سينمائي ببلدان جنوب المتوسّط وخصّص مثلا عام 1999 مبلغ 1.350 مليون دينار لدعم هذا القطاع من أجل تحفيز السّينمائيين التونسيين على المساهمة الفعّالة في تطوير الصّناعة السّينمائيّة كمجال للدّفاع على الاختلاف الثّقافي بين البلدان والشّعوب وتصحيح ظاهرة التّمركز الثّقافي كما تعزّزت التّشريعات في هذا المجال خاصّة إلزاميّة الشّراء المسبق لحقوق الأعمال السّينمائيّة الوطنيّة حفاظا على الإنتاج الوطني من القرصنة الثّقافيّة، ودعما للإبداع السّينمائي في تونس تمّت دعوة القنوات التّلفزيّة إلى دفع نسبة من مداخيلها الإشهاريّة لفائدة صندوق دعم الإنتاج التّلفزي و السّينمائي إلى جانب مراجعة بعض القوانين الّتي تحدّ من رواج الإنتاج السّينمائي مثل النصّ المنظّم لقطاع الفيديو من حيث توريد وتوزيع واستنساخ و مراقبة الأشرطة المنتجة وطنيّا أو المورّدة وتعدّدت دور السّينما في تونس لتبلغ 40 قاعة سينما ومن هنا ارتفع معدّل الإنتاج السّينمائي ببلادنا من 3 إلى 5 أشرطة سنويّا كما تعزّز المشهد المرئي والسّينمائي ببعث الوكالة الوطنيّة للإنتاج السّمعي البصري منذ 1997 بما شأنه أن يوفّر الإطار الملائم للإبداع والإنتاج في القطاع السّمعي البصري بتنوّع اختصاصاته وارتفعت منح الدّعم على الإنتاج السّينمائي لتبلغ مليون و350 ألف دينار سنة 99 مثلا، ولأنّ تونس احتضنت أوّل شريط سينمائي في العالم منذ أكثر من 140 سنة فتح المجال منذ التّغيير المبارك للإنتاج متعدّد الوسائط وكانت الشّراكة الوطنيّة

والـدولية لخلق صناعة إعلامية وثقافيـة قادرة على المنافسة في حوض المتـوسط وفي الفضاءين الإفريقي و العـربي ممـا يبرهن على أن هناك تحـول نوعـي في إدراك السلط لمفهوم الثقافـة ووظيفتـها الجديدة في مواكبة التحولات العميـقة التي يشهدها المجتمع فترصدهـا وتحليـها، كما برزت العناية بقطاع السـينما من خـلال تنظيـم الأسـابيع السـينمائية والتربصات المختصـة في هـذا المجـال ومـراقبة نوادي الفيديو حفاظـا علـى الذوق العام وحماية للإنتاج الوطني ودعـم الأشرطـة الهادفة انطلاقا مـن عنصـر الجودة في الإنتاج و الصناعة السـينمائية كما تم إثراء خزينـة السـينما الوطنيـة ورصـد منـح للجمعيـات السـينمائية وذلـك بالرغم من أن (**الدولة لا يمكـن أن تصنع الثقافة، لكـن مـن واجبـها المساعدة على صنعها وترويجـها**) كمـا أكد سيادة الرئيس باعتبار أنه (**ينبغـي أن يصبـح العمـل الثقـافي في مقدمـة اهتماماتنا كالأمن الغذائي تمامـا**) كمـا تعددت المـهرجانات في تونـس اليـوم وتنوعت اهتمامالها واختصاصالها لتبلـغ 400 مهرجانا سنويا منها 283 مـهرجانا تمثل نسبة 70./. من مجمل النشاط الثقافي السنوي ويتم خلالها تقديم أكثـر مـن 175 عرضـا مسرحيا وتخصص الدولـة مبلغ مليار لدعم الأغنية التونسية خـلال هذه المهرجانات و لمتابعة نشـاط هـذه المهرجانات وتقييمه أحدث منـذ 1999 المرصـد الوطني للمـهرجانات كآلية متابعة وتقييم ويعـد هـذا المرصـد كذلـك بنكا للمعطيات حـول هـذه المهرجانات في نطاق برنامج تـأهيل وزارة الثقافة، كما يعد مهرجان قرطاج الـدولي كذلك ومنذ 1964، كأقدم مـهرجان في تونس خاصة و العالم العربي، مكسـبا ثقافيا وطنـيا هاما وله دور هام في جعـل المجتمع بمبدعيه قادرا على إنتـاج الصـور الخاملة للهوية والمؤسسـة للمسـتقبل وكمثـال علـى جـدوا وأهميـة المهرجـانات في الحركيـة الاقتصادية والتنموية في تونس بصفة عامة نشـير إلى أن المهرجانـات خـلال سـنة 2000 تضمنـت 350 عرضا مسـرحيا منـها 144 عرضا مدعوما بمقدار 191 ألـف دينا كما خصص مبلغ 191 دينار لدعـم المسرح أي بنسـبة 41 % مـن جملـة

ARCHIVE

العروض وخصّص مبلغ 100 ألف دينار لدعم الفنّانين القدامى ودعّمت الوزارة كذلك 400 عرض فنّي تونسي من جملة 983 عرضًا وبيعت خلال هذه المهرجانات مليون و 500 ألف تذكرة وقدّم 1858 عرض فنّي أي بمعدّل 30 عرضا وكانت مداخيل هذه المهرجانات قد بلغت 1.670 مليون دينار في حين خصّص مبلغ 719 مليون للعروض خلال المهرجانات الصّيفيّة بالجهات سنة 1999 وبالتّالي تقدّم المهرجانات الصّيفيّة في تونس بمعدّل 16 عرضا موسيقيا و6 عروض مسرحيّة يوميّا.

كما أولت الدّولة عناية خاصّة بالتّراث من خلال وضع خطّة وطنيّة للنّهوض بالسّياحة الثّقافيّة تمتدّ من سنة 2000 إلى حدود سنة 2004 من مقوماتها التّوظيف المحكم و الإحياء المجدي للمعالم التّاريخيّة وإنجاز منتزهات أثريّة خاصّة بقرطاج، سيدي بو سعيد، أوذنة، دقّة وسبيطلة وفقا لقرار سيادة الرّئيس في هذا النّطاق وبعث مسالك سياحيّة مثل مسلك واحات وقرى الجنوب و القصور الصّحراويّة ومسلك الفنون والتّقاليد الشّعبيّة ووضع إستراتيجيّة وطنيّة لإحياء وترميم تراثنا المعماري حيث تمّ ترميم أكثر من 70 معلّما دينيّا، السّور الكبرة، المدارس، دار الحدّاد، دار رشيد، دار الشّريف، دار قائد السّبسي، برج سيدي يحي وذلك خلال السّنوات الأخيرة وتقوم هذه الاستراتيجيّة كذلك على العناية بالمعالم التّاريخيّة والتّراثيّة وتوظيفها توظيفا عصريّا مع المحافظة على طابعها المميّز انطلاقا من أهميّة السّياحة الثّقافيّة كشكل من أشكال الحوار الثّقافي والحضاري ودعامة اقتصاديّة وماليّة للتّنميّة، وعملت الدّولة كذلك على التّعريف بهذا التّراث من خلال إقامة المعارض التّراثيّة خاصّة بفرنسا، سويسرا وألمانيا وإذ يعدّ برنامج السّياحة الثّقافيّة في تونس مسؤوليّة وطنيّة وضعت خارطة أثريّة وطنيّة للمواقع والمعالم وانطلقت بلادنا منذ 2001 في بناء معلّم حتّبعل بما قيمته 3.080 مليون دينار سعيا نحو تحقيق المثاقفة دون فقدان الهويّة الوطنيّة، عملا بما أكّده أحد الفلاسفة حين قال (**حافظوا على عقولكم كما لو كنتم تحافظون على حصون مدينتكم**) وهو ما أثبته التّاريخ طوال المسيرة الإنسانيّة الغنيّة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بالأحداث و المواقف، حتّى تبقى تونس، وكما عرفت به تاريخيّا، مركز إشعاع ثقافي دولي وهمزة وصل ونقطة إضاءة في الحوار مع الثّقافات الأخرى، وضمن برنامج السّياحة الثّقافيّة تمّ كذلك بعث مشروع وطني رائد يقوم على إعادة تهيئة وبناء المواني البونيّة كمكسب حضاري تاريخي يميّز بلادنا على امتداد 3000 سنة من التاريخ وحظيت بلادنا كتتويج لعنايتها بتراثها الحضاري بتصنيف الأعمدة الأثريّة بقرطاج وجامع الزّيتونة المعمور ورباط مدينة سوسة وقصر الجمّ ضمن أبرز المعالم التاريخيّة و المواقع الأثريّة في قائمة التراث العالمي الّذي تبنّته منظّمة اليونسكو العالميّة وكذلك صدرت بتونس، ضمن التشريعات القانونيّة لحماية وصيانة رصيدنا التراثي والتاريخي والمعماري التقليدي و الفنّي، بملّة حماية التراث التاريخي الفنون التقليديّة منذ 24-02-1994 وتمّت كذلك صيانة تراثنا المكتوب من خلال إنشاء مخبر لصيانة المخطوطات كما حفظ تراثنا الفنّي من خلال إنشاء متحف المسرح التونسي ومتحف السّينما بتونس وتكريسا لهذه الأبعاد وتربيّة للنّاشئة على حبّ تراثها و الحفاظ عليه تحتفل بلادنا سنويّا بشهر التّراث (أفريل وماي) كما تقام تظاهرات ثقافيّة هامّة للتّعريف بهذا التّراث خلال احتفالات بلادنا السّنويّة باليوم العالمي للمواقع والمعالم (18 أفريل) و باليوم العالمي للمتاحف (18 ماي) إلى جانب قرار سيادة الرّئيس الدّاعي إلى فتح المتاحف للعموم بصفة مجانيّة ودون مقابل مالي خلال المناسبات و الأعياد والاحتفالات الوطنيّة كما صادقت بلادنا على الميثاق الدّولي لصيانة المدن التاريخيّة وبعث لجنة وطنيّة للتراث لمتابعة البرامج وتنفيذ القرارات الصّادرة حول التراث الوطني الّذي تزخر به بلادنا والّتي تعدّ 20000 موقع ومعلم أثري وتاريخي، وتمّ كذلك بعث المركز الوطني للحرف الطّبيعي وإعادة هيكلة المعهد الوطني للتّراث وكان من نتائج هذه الإنجازات اختيار تونس سنة 1997 عاصمة إقليميّة للثّقافة من قبل المجموعة الدّوليّة المنظّمة العالميّة للثّقافة (اليونسكو) حيث تنوّعت التّظاهرات احتفاء بهذا الحدث العالمي وشملت مختلف الجهات في إطار توجّه الدّولة نحو لامركزيّة الثّقافيّة

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ممّـا دعا إليه سيادة الرّئيـس حين قـال **(إنّ الثّقافـة لا تـؤدّي وظائفـها إذا انحصـرت إنوارها في جزء من البـلاد أو فئة معيّـنة)** فانتظمت بالمناسـبة 62 تظاهرة وطنيّة و23 تظاهرة جهويّة.

ولأنّ **(المثقّفين على اختلاف انتماءاتهم وتنوّع اختصاصاتهم هم الضّمير الواعـي للمجتمع والسّند الصلـب لقيـم الحـقّ والعـدل و الأداة المؤثـرة في كـلّ إصلاح وتغيير)** كمـا قـال سـيادة الرّئيس في إحدى خطبه وتأمينا للظّـروف الطيّبة للمثقّفين للإبـداع و الانصـراف الكلّي للعمل والإنتاج كانت التّشـريعات القانونيّة في تونـس مشـجّعة للمبـدع والمثقّف التونسي ليكون في مأمن من كـلّ توجيه أو مراقبـة أو مصـادرة وضمانـا لحقوق المبدع الماديّة والأدبيّة، وفي هـذا النّطاق تمّ تنـشيط المجلس الأعلى للثّقافـة وتوسيع المـشاركة فيه لكلّ الحساسـيات الفـكريّة والسّياسـيّة والوطنيّـة، و لأنّ مسؤوليّة المثقّف في المجتمع اختيار وافتنـاع لأنّها تقوم على أساس الحريّـة كـانت ديمقراطيّة الثّقافة في تونس العهد الجديـد حقًّا لأيّ إنسان أو مجموعـة للممارسـة النّشـاط الّـذي يريـد الإنتـاج فيـه والاسـتفادة منه والاستمتاع بفحواه وقـد أدركت الدّولة أهمّيّة دور المثقّف في البنـاء و التّشييد فعملت على تكريس التّشريعات والنّصوص القانونيّة الـتي تحمي المبـدع وتضمن لـه حقوقـه وتصـونه مـن الاغتراب فكانت التّدابير التي جعلت مـن الثّقافة في تونس اليوم صناعـة مـستقلّة تخلّصت من التّبعيّة للقطاعات الأخرى ممّـا شجّع المثقّفين على العمل بكـلّ حريّـة وطلاقة بعيدا عـن التّبعيّـة و التّـهميش انطلاقا من قناعات أعلى هرم السّلط بـأنّ التّنميّة في المجال الثّقافي هـي حـجـر الدّفاع عن الكيان الوطـني والخصوصيّـة الوطنيّة الذّاتيّة وأضحت الثّقافة في تونـس اليوم هي الوسيلة و التّنميّة هـي الغايـة وانطلاقا من هذه المفاهيم تعزّزت آليـات الإبداع وصدر قانون واضـح وصريـح لحماية المبدع التونسي وإنتاجه من خـلال حماية ملـكيته الأدبيّة الفنيّـة وتعـزّزت حماية حقـوق المؤلّفـين والنّاشـرين والباعثين الثّقافيين ممّا جعـل المثقّـف التونسي يجد في قيادة السّياسة قوّة دفـع وتشجيع في مشروع مجتمعي متكـامل لا يؤمن بالمثقّف كصوت دعاية بل فـاعلا رئيسيّا في عمليّة الإنتاج و التّنميّة الشّاملة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حيث راهنت بلادنا منذ التّغيير على دور المثقّفين وجعلت من الثّقافة (ركنا من أركان مشروعنا الإصلاحي وسندا متينا لمسارنا التّنموي وأداة فاعلة في تكريس القيم الوطنيّة ونشر الوعي المدني وإذكاء تطلّعات المجتمع نحو الأفضل) كما قال سيادة الرّئيس لاقتناعه بأنّ (التّغيير الحضاري الّذي ننجزه أقدر على صياغة المجتمع الجديد متى استند إلى ثقافة واعيّة راقية) ويظلّ تحقيق مشروع ثقافة التّغيير (رهين طاقة مبدعينا وأهل الفكر فينا على تغيير الواقع الثّقافي بالإقدام على ابتكار المناهج وتطوير هياكل الإنتاج الثّقافي) و لأنّها مسؤوليّة جسيمة أمام المثقّف انطلاقا من أنّ الثّقافة رافد أساسي من روافد التّنميّة الشّاملة وأداة من أدوات الإصلاح والارتقاء عملت بلادنا على توفير أرضيّة مثلى للعمل و الإنتاج من خلال :

- تخصيص مجلس وزاري مضيّق للثّقافة بعد 20 يوما من التّغيير مباشرة.
- تخفيض كلفة الكتاب التونسي والضّغط على ثمن بيعه و ضمان وتيسير حقّ المؤلّفين في استخلاص مستحقّاتهم وذلك منذ سنة 1995.
- إحداث جائزة 7 نوفمبر للإبداع منذ 1990 وجائزة أدب الشّباب 1992 و الجائزة المغاربيّة للثّقافة منذ 1993.
- إصدار قانون 24-02-1994 لصيانة حقوق المبدعين و المنتجين في الحقل الثّقافي وحماية الملكيّة الأدبيّة والفنيّة و الّذي تمّ تحيينه مؤخّرا حسب الاتّفاقيات الدّوليّة في هذا المجال وتعزّز هذا القانون ببعث هيكل وطني عمومي هو المؤسّسة التونسيّة لحماية حقوق المؤلّفين منذ سنة 1996 وهي مؤسّسة عموميّة ذات صبغة صناعيّة تهدف إلى مراقبة التّجاوزات و المخالفات في المجال الأدبي.
- مساعدة المبدع على الإنتاج واقتناء العروض الفنيّة في إطار سياسة الدّعم.
- استقطاب الكفاءات و الإطارات الثّقافيّة للمشاركة و الإثراء والإضافة خلال الحوارات التّنمويّة الوطنيّة وتصوّر تونس الغد من خلال الاستشارة الوطنيّة للثّقافة.
- إعادة تفعيل لجنة شراءات الدّولة للوحات و الأعمال الفنيّة لتساهم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بنسبة 90 من مبيعات هذه الأعمال و اللّوحات الفنيّة.

- إحداث جملّة قانونيّة للسّينما لحماية الإنتاج السّينمائي وحقوق المبدعين في هذا الاختصاص الفنّي وكذلك وطنيّة للسّينما لحفظ هذا الإنتاج وصيانته.
- بعث نوادي الإعلاميّة في الأحياء والتجمّعات السّكنيّة.
- دعم الفرق و الجمعيات الموسيقيّة وفق مقياس الجودة في الإنتاج.
- إقامة تظاهرات ثقافيّة ومهرجانات مختصّة بالبلاد التونسيّة خارج حدوده الوطن.
- وضع لبنات مشروع ثقافي رائد يقوم على جملة من الأهداف والتوجّهات أساسها : تحرير الثّقافة من الفكر الواحد، تكريس الحداثة، التفتّح على الأخر، دعم أسس الهويّة الوطنيّة، صيانة المخزون الحضاري، حفز الخلق و الإبداع، رعاية المبدع وضمان حقوقه...
- تكثيف المؤسّسات الثّقافيّة المرجع وإحداث مؤسّسات بلغت أكثر من 700 مؤسّسة ثقافيّة لاحتضان الإبداع ورعايته ولتقريب الإنتاج الثّقافي من المواطن التونسي بالمركز وبالجهات لتتوّج هذه الإحداثات الثّقافيّة بقرار بعث **مدينة الثّقافة** بما قدره مليار من المليمات التونسيّة بشارع محمّد الخامس بالعاصمة لتكون جاهزة سنة 2005 ضمن المخطّط التاسع على مساحة جميلة 30 ألف مربّع وتحتوي هذه المدينة على متحف وطني للحضارات ورواق للفنون (3 قاعات) ودار للفنّانين و03 قاعات عرض كبرى تتسع لأكثر من 2100 مقعد ومكتبة معلوماتيّة عصريّة تواكب التطوّرات الحديثة في مجال الثّقافة الرّقميّة و الكتاب الإلكتروني.
- التشجيعات و الحوافز من خلال : إحداث منذ 22-06-2000 جائزة مصدّر للإنتاج الثّقافي الوطني وفي نفس اليوم قرّر سيادة الرّئيس كذلك إحداث جائزة لأحسن إنتاج ثقافي تونسي حقّق إشعاعا دوليّا - إقرار جائزة لأنشطة دور الثّقافة - إحداث أكثر من 76 رواق للفنون التشكيليّة إلى حدود 1999-

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاحتفال سنويّا وكلّ يوم 27 مارس بالعيد العالمي للمسرح وإصدار بيان سنوي مع تكريم المبدعين في هذا المجال بالمناسبة- الترفيع في الميزانيّة المخصّصة لوزارة الثّقافة وتعزيز الاعتمادات المرصودة لقطاع الثّقافة الّذي يزداد حجمها تدريجيّا بـ 22 من أجل البلوغ بها إلى نسبة 1 % من الحجم الجملي للميزانيّة سنة 2004 بما يساعد على إنتاج المضامين من أجل دعم الصّناعات الثّقافيّة الإستراتيجيّة-دعم الدّولة لقطاع الموسيقى بما قيمته 87 ألف دينار سنة 1999 ودعم الإنتاج الثّقافي وترويجه (الكتاب، السّينما، المسرح، التّنشيط الثّقافي، الفنون التّشكيليّة، الموسيقى) بما قيمته 14 مليون و218 ألف دينار خلال سنة 2000 مثلا -رصد مبلغ 844 ألف دينار كمنح للّجان الثّقافيّة والفرق سنة 2000 ومبلغ مليون و100 ألف دينار للمحالس الجهويّة و03 ملايين و242 ألف دينار لنفقات التدخّل في المؤسّسات العموميّة ذات الصّبغة الثّقافيّة ومبلغ 167 ألف دينار لنفقات التدخّل في المؤسّسات العموميّة ذات الصّبغة الثّقافيّة ومبلغ 167 ألف دينار مساهمة من الدّولة في دعم المنظّمات الثّقافيّة الدّوليّة خلال سنة 2000 مثلا، بعث مؤسّسات فضاءات مرجعيّة جديدة على غرار دار المسرحي وبيت الشّعر ومركز الموسيقى العربيّة و المتوسّطيّة والمركز الوطني للرّقص وتحف الفنون التّشكيليّة خلال سنة 1993 وإحداث 22 ناد للشّباب الرّيفي خلال التّغيير وإضافة 07 مراكز جديدة للتربّصات والاصطياف و05 دور شباب متنقّلة و 161 دار للثّقافة وناد للشّباب خلال السّنوات الأخيرة، كما عملت الدّولة على تشجيع الكتاب من خلال اقتناء وزارة الثّقافة لـ 699 كتاب سنة 1999 منها 478 كتابا باللّغة العربيّة و916 كتابا سنة 1996 منها كتابا باللّغة العربيّة و400 عنوان خلال سنة 1999.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

و لأنّ ثقافة الامتياز فلسفة جامعة لعدّة مفاهيم كوسيلة للتنميّة ولتحسين مستوى النموّ الاقتصادي عملت الدّولة على فتح المجال للاستثمار في القطاع الثّقافي ودعّمت هذا التوجّه من خلال إصدار مجلّة الاستثمار الثّقافي لتنظيم تدخّل الخوّاص في هذا المجال بما من شأنه أن يساعد على الإشعاع الثّقافي ومن نتائج التّشجيع على الاستثمار الثّقافي بعث 06 موسّسات نشر ومنح 25 ترخيص لممارسة نشاط الإنتاج السّمعي البصري وبعث 08 هياكل إنتاج وترويج مسرحي و04 فضاءات خاصّة في المسرح من أهمّها التياترو، الحمراء، مدار قرطاج ونجمة الشّمال وإسناد تراخيص لـ 25 رواق جديد ودعم 20 مؤسّسة خاصّة لتعليم الموسيقى وبلغت جملة الاستثمارات الخاصّة في مجال البنية التحتيّة في القطاع السّمعي البصري 20 مليون إلى حدود سنة 2000 كما جاء القرار الرّئاسي لإسناد جائزة ماليّة للموسّسة الاقتصاديّة التي تدعم الحركة الثّقافيّة ليشجّع على توظيف الأموال الخاصّة واستغلالها في الميدان الثّقافي وكانت النّدوة الوطنيّة حول الاستثمار والتّمويل الثّقافي لسنة1996 و التي انتظمت تحت سامي إشراف سيادة الرّئيس زين العابدين بن على وما جاء فيها من توصيات قد حفّزت الخواص على توظيف أموالهم في المجال الثّقافي والاستثمار فيه وتسويق الصّناعات الثّقافيّة عبر القنوات الحديثة للاتّصال.

و اليوم، تونس تعيش على وقع فعاليّات **الاستشارة الوطنيّة للثّقافة (تونس الغد في فكر مثقّفيها)**، وفي ظلّ التحدّيات الثّقافيّة العالميّة الجديدة فإنّه **(لا معنى للسّيادة الوطنيّة في غياب السّيادة الثّقافيّة)** كما أكّد الدّكتور عبد الباقي الهرماسي وزير الثّقافة في لقاء صحفي ومن هنا لا بدّ من **(تطوير القواعد والمؤسّسات التي توّلت المنظومة الثّقافيّة ببلادنا وتهيئة الأرضيّة الملائمة للتقدّم بتونس على مختلف مسالك الفعل الثّقافي)** كما دعا إلى ذلك سيادة الرّئيس ولا بدّ من تأسيس لرؤية جديدة لمفهوم الثّقافة ودورها في قرن عولمة الثّقافة يعطي هذا المفهوم للإصلاحات التونسيّة خصوصيّة ثقافيّة وحضارتنا ولا بدّ من

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

دعم التنوّع الثقافي الضّامن لخصوصيّة الشّعوب وبالتّالي انتهاج السّياسات الأقرب إلى واقعها الاجتماعي والحضاري مع المحافظة على خصوصيات ثقافتنا والإقرار بالتنوّع الثّقافي مع وضع آليات كفيلة بضمان احترام الثّقافات الأخرى الوافدة وتنوّعها الثّقافي انطلاقا من مبدأ الحقّ الثّقافي و الدّيمقراطي الثّقافيّة عملا بما جاء في إحدى خطب سيادة الرّئيس حين قال **«لقد حرصنا منذ التحوّل على أن تكون الثّقافة سندا فاعلا لمشروعنا السّياسي والتنموي الّذي أقمناه على أرضيّة غرسنا فيها قيم الحريّة والتنوير والتفتّح و التسامح»** انطلاقا من أهميّة الثّقافة كقطاع استراتيجي في الحفاظ على الهويّة الوطنيّة ومقوّمات الشّخصيّة الحضاريّة أمام تيّارات للعولمة الجارفة وحتّى تظلّ ثقافة التّغيير ثقافة الانتماء ومواصلة البناء.

دار الثّقافة عين دراهم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في الأعداد القادمة

- حبيبتي المجهولة.....قصّة : عادل المحفوظي
- شاهدات عن أحوال النّاس في أوروبا .....قصّة : المنجي السّعيداني
- من رجّة البرد إلى إنكسار الصّمت.....قصّة : لطفي بن حسين
- عودة الياسمين.....قصّة : آمال اليعقوبي
- أتضيق ذرعا.....شعر : أحمد علي الهويس
- ينبوع ضوء.....شعر : عبد التّويخ
- تحيّه .....شعر : عبد الحقّ الطّرشوني
- وتضحكين على عمر راحل .....شعر : شذى معمّر علي
- معجزة زرقاء.....شعر : كريم شغيدل
- العراق و الحبّ والشّهادة .....شعر : محمّد عليوي ناصر
- إلى امرأة ما.....شعر : مصطفى حسين السّنحاري

أحوال المناخ في أمثالنا العاميّة

مختار المومني : جمع وقراءة

"المثل في حقيقته عبـــارة قيلـــت في مناسبة ما. ثمّ حدث ما يشبه تلك المناســبة فاستدعى العبارة نفســـها ومـــع تكـــرار الاستعمال تسير العبارة وتصير مثلا ولكـــن لا تصبح كلّ عـــبارة مثلا إن لم يتوفّر لهـــا من الشّروط الفـــنيّة من بلاغـــة وقصـــر وسهولة في التّركيب."

و المثل حكمة الشّعوب يتداولونهـــا مـــن جيـــل إلى جيل.

و أمثالنا العاميّة التونسيّة لم تترك موضوعـــا إلاّ وطرقته وسأحاول في هذه القراءة أن ألمّ بما ورد من أمثال في أحوال المناخ.

• في فصول السّنة

- الشّتاء شدّة و الرّبيع منام. الصّيـــف ضيف و الخريف العام.
- إذا صدق الخريف يصدق العام
- برد الشّتاء توقّاه وبرد الصّيف تُلقّاه
- آيام الشّتاء جاتْ اللّي مـــا غزلتـــش عريانة بقّات
- الرّبيع ربّع و اللّبن قراص واللّي عنـــدو طفلة يعطيها لترّاس
- توقي حرّ الصّيف مثل ما تتوقّى بـــرد الشّتاء
- آي النّار (شهر جـــانفي) يعمـــل في العازب حالة و يكبّ الشّايب علـــى بولة
- جيبتلك (تصغـــير حبّـــة) مـــا تبيعها...شتاها في ربيعها

وفي رواية أخرى

- حبّتك ما تبيعها بردها في ربيعها.
- كيف لمار مارس
- كيف مارس الطويل
- في ما يو احصدْ زرعك ولـــو يكـــون فلّيو
- في فورار تتزوّج الأطيار ويظهر فيـــها الحيل م العشار
- في مارس نقّ زرعك وحارص... تلقى عظم الحجل و الزرارص

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- العشرات الأولات من آب اللّـــهاب تحرق المسمار في الباب، و العشـــرات الثانيات تنضج التمروا و الأعناب. والعشرات الثاليات تفتـــح على الشّتاء باب
- في العام المشوم تكثر العموم.
- قمح أوسو. وعلوش السفاريّة وزيـــت أكتوبر إذا تلاقوا في ماعون يكسّروه
- مكوشر كيف الزمّة (يضرب هذا المثل لمن كان هزيلا).
- العزوزة هازها الواد وتقـــول العـــام طهمة

وفي رواية أخرى

- المعزة هازرها الواد وتقول العام خير
- كيف نعجـــة الزمّـــة (الخفـــاف) إذا صيّحت صيّعت فمّ

• الشّمس و القمر و الهلال

- اللّي معاه القمرة. آش همتوم النّجوم.
- كلّ قمرة أربعطاش
- قمرة فيها لولة
- كيف هلال (رمضان يظهر مرّة قـدّاش (بعد مدّة طويلة).
- شمس النوّار تخلّي الدوّار

ومعنى المثل أنّ الجلوس للاستمتاع بشـــمس الرّبيع فيه مضرة كبيرة

• في الرّعد و البرق

- رَعَدْ مايّو
- فلان يدّوي كيف الرّعـــد (يضـــرب للرّجل الثرثار)
- ...مرّ كيف البرق (يضرب المثل لشدّة السّرعة)

• قوس قزح

- كان قوست العشيّة إرمي البردعة على البهيم وشدّ الشيّة
- كان قوست الصّباح حلّي البردعـــة وارتاح (دليل على نزول المطر)

• في السّحاب

- سحاب الصّيف (معنى المثل أن سحب الصّيف لا تمطر)
- كيف السّحاب ما يخلّف حُـــرّة (أي أثر)
- كيف السّحاب ما تعرف ماه ويـــن ماشي يصبّ.

• المطر

- غسّالة النوادر
- مطر الصّيف نقصّ م الخريف
- مطر الحسوم تقوّي السّموم
- مطر مارس ذهب خالص
- مطر بالفول و العصبان (وتقال تهكّما) لمن سأل عن سحاب هل أمطر أم لا.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- المطر وين تصبّ تنفع
-كان صبّت إندي وكان صحت إندي
وقصّة المثل أنّ رجلا زوّج إبنة له لرجل يملك نخلا في جهة الجنوب وزوّج ابنته الأخرى لرجل يسكن "إفريقيا". يقصد الشّمال فإذا نزلت المطر في الجنوب يفسد التمر وإذا لم تنزل فسدت الصّابة في الشّمال
-صابة وحجرت ..أي محصول وفير أصابه برد فلم يبق عليه

• اللّيالي

- على أربعين صبية وشرطهم عز
(يقصد اللّيالي البيض و السّود وقرّة العز)
- برد اللّيالي البيض ينقص م الحجر.

وقد سمّيت اللّيالي البيض لأنّ السّماء تكون في اللّيل خلال هذه الفترة التي تمتدّ عشرين ليلة صافية شديدة البرودة

- في اللّيالي السّود يخضار كلّ عود

وفي رواية أخرى يجري الماء في كلّ عود

وسمّيت اللّيالي السّود لأنّ السّماء تكون خلال اللّيل مغطّاة بسحب كثيفة حتّى أنّ القمر لا يشاهد فيها. وقد تمطر السّماء والفلاّح يترك كتيرا إذا صادف خروج اللّيالي السّود نزول الغيث

- عطش اللّيالي
- وبنو العنب في اللّيالي.

• العزارة

وأيام العزارة تبدأ فور خروج اللّيالي السّود وتنتهي بدخول فبراير العجمي وقرّة العز و من عادات أهل الجنوب أنّهم ينسبون كلّ يوم إلّي شابّ من أهل الدوّار فإذا كان اليوم جميل الطّقس قالوا اليوم نهار سمح كيف وجه فلان. أمّا إذا كان ذلك اليوم متجهّما فيقولون اليوم النّهار مكشّش ومعبّس كيف وجه فلان.

• قرّة العز

- يقول العامّة أنّ العز في "يوم القرّة" تظلّ ترتعد بردا حتّى ولو كان اليوم دافئا. (كيف عز القرّة)

* تبرطيع المعزة

يقول العامّة أنّ العز تفرح بخروج الشّتاء فتقفز مستبشرة بقدوم الرّبيع

* السّلف

وهو يوم البرودة وعند العامّة أنّ الشّتاء يعاقب فيه العز على شماتتها بنهايته-فيقول لها.

- تسلّف لك نهار من فورار وندك لسك قرونك في النّار

* الحسوم

قالّوا وفات الحسوم يا مشوم نـــحّ حبتـــك وعوم

قالّوا : حبتك ما تبيعها شتاها في ربيعها

وفي رواية أخرى : حبّتك ما تبيعها بردهـــا في ربيعها.

بعد الحسوم بارعين يوم نحّ العبانة عوم.

• الصّيف ومظاهر الصّيف

- في 50 يطيح التين (ينضـــج) وفي 57 يشـــبع كلّ مسكين.
- كيف ريح الشهيلي (يضرب هذا المثل للرّجل الحادّ الطّبع)
- آش يطيّب الكرموس ؟!

وفي رواية أخرى

- آش يطيّب الهندي ؟! ويضرب المثل لاشتداد الحرارة في أوّل الصّيف.
- صيّف عليه الصّيف
- الرّيح الغربي ذكّار بنادم. (الذكّار هو اللّقاح)
- اللي يجي م الغرب ما يفرّح القلـــب يقـــصد به العامّة أنّ ريح الشـــهيلي تهبّ من غرب. و الرّيح الغربيّة تـــأتي بالجراد
- تعاركوا لرّياح حا الدّرك ع السّفينة.

• من مظاهر الخريف

- اللّي ما يبدّرما يندّر

أيّ أنّ الفـــلاّح الذي لا يحرث أرضـــه في أوّل الخريف لا يكون محصوله وفيرا

- اللّي تزرع تحصد
- كـــول بـــ إيد حرّاث ولا تاكل بـــ إيد حصّاد (المعنى إن يد الحرّاث تكون نظيفة بينما يد الحصاد تكون ملوّثة).

المراجع :

- في النّقـــد و الأدب الشّـــعبي لأحمـــد العويلي دار بوسلامة للنّشـــر (ط21) 1987
- منتخبـــات مـــن الأمثـــال العاميّـــة التـــونسيّة جمع وإعـــداد الدّكتـــور الطّاهر الحمروي

الدّار التونسيّة للنّشر (ط.2) 1981

ARCHIVE

ثقافة :

عرض :

"رغبات مشروخة" ليحيى القيسي :

قصص تحكي مأساة الإنسان المقهور

بيروت : لنا عبد الرّحمن

في العام 1990 أصدر القاص الأردني يحيى القيسي مجموعته القصصيّة الأولى، الّتي حملت عنوان "في الزّمن الماء" والقيسي كاتب وصحفي يعمل بالصّحافة الأردنيّة، و ينشر كتاباته في الصّحافة العربيّة.

وجاءت مجموعته الثّانيّة "رغبات مشروخة" أكثر نضجا، وخبرة من قصصه الأولى، و يبدو الفضاء العام القصصي مشتركا و متشابها في معظم نصوص المجموعة، إذ يتناول القيسي واقعا متأزّما ثائرا مأساويّا يموج بصراعات وطنيّة واجتماعيّة مافتئت تثقل كيان المجتمعات العربيّة بأزمات شتّى، يخبرنا الكاتب في معظم قصصه عن الظّلم والاضطهاد و العنف الممارس ضدّ الشّعوب، حيناً بأسلوب فانتازي يبتعد عن الواقع نحو السّحر و الخيال والحكايا الخرافيّة وحينا آخر بعبارات واقعيّة تمزج الواقعيّة بسحريّة باطنيّة مرّة تذكرنا بالكاتب الألماني "كافكا" في روايته "المسخ" حيث الشّرائح القاسيّة الّتي تدفع البطل للمسخ على شكل مخلوق عجيب لا يمتلك شكلا محدودا.

(1)

عندما يجيء القيسي بحضر تلاعبه بالوتر السيكولوجي الدّاخلي لدى معظم أبطال قصصه أكثر من تحليله للعلل والعوائق الخارجيّة المسبّبة لأيّ تدهور اجتماعي أو نفسي، لا يوارب في كتابته ولا يسترسل في عبارات وتشابيه بعيدة عن الحدث الرّئيسي، بل يدخلنا مباشرة منذ الأسطر الأولى إلى مضمون النّص، وعلى ما تحمل هذه الميزة من بعدٍ

عن الإطناب والحشو غير أنّها تحمل أيضا مباشرة تبدو مبالغة في بعض الأحيان، وكأنّ الكاتب يسعى لمطابقة المضمون والأسلوب مطابقة تامّة، حيث تخلو معظم نصوصه من أيّ بارقة نور أو ومضة مضيئة على آفاق أخرى أكثر رحابة وأملاً.

و القيسي لا يربط قصصه بأمكنة معيّنة بل يترك الفضاء الزّماني و المكاني مفتوحا، ولولا تأريخه في نهاية القصص لزمن كتابتها..بدت القصص متحرّرة أيضا من عنصر الزّمن تحمّل قصصه تأويلات مفتوحة إذ ينطلق من بؤره الذّات إلى هواجس اجتماعيّة عامّة محاولا البحث عن سيكولوجيّة الإنسان المقهور المتعثّرة في إيجاد ذاته، ليكشف أنّ هذا الإخفاق هاجس مشترك يحكم المجتمع ككلّ.

وفي قصّة "نساء من لحم" تتمحور جدليّة العلاقة الاجتماعيّة في أزليّة "الصّراع الطّبقي"..هنا تبدو هذه المشكلة السّهم الدّال على سائر الكوارث الأخرى الّتي تبدأ برؤية بطل الحكاية للنّاس الفقراء والمساكين وذوي العاهات يتحمّعون حول نصب حديد بشكل يد ضخمة تحمل شعلة باتّجاه السّماء و تنبثق من قاعدة كرويّة برونزيّة تمثّل الأرض.

فالقصّة الّتي تنطبق من هذا الخطّ الّذي ينطوي على كثير من التعسّف والخلل الاجتماعي، خاصّة مع اعتماده عنصر الرّمز في بحثه عن التّمثال، تتتابع بمأساويّة متصاعدة مع مشاهد الذّبائح الّتي يأخذها النّاس من مركز التّوزيع ويحملونها في أكياس من القماش الأبيض، وعلى القارئ تخيّل هذا المشهد الّذي يبدو رمزياً أكثر منه واقعيّا وتنتهي الحكاية برؤية البطل لجثّة تختلط دماؤها بدماء "الذّبيحة" الّتي تشدّد على احتضانها رغم كلّ شيء"..وإذا اقتربت منها تتسارعت ضربات قلبي وسحّ عرق بارد من جبهتي وأنحاء كثيرة من جسدي وصرخت بصوت لم يتجاوز الحلق إنّها زوجتي".

منذ خطّ البداية في القصّة تتالت وتيرة السّرد في نسق واحد، لتكشف مع تتابع الصّور المركّبة حجم كارثة الجوع و الظّلم الّتي سالت كالماء الآسن لتلوّث كلّ ما تصل إليه بدون أن ينجو من براثنها أحد.

(2)

الملاحظة الملفتة في قصص القيسي هي عناوين قصصه، فعنوان القصّة يكفي

لأنّ يضيء عالم النصّ ويصوّر للقارئ الإطار العام الّذي تجري فيه الأحداث، فالعناوين عند الكاتب في مجموعته الّتي تكوّنت من عشر قصص قصيرة تبدو وكأنّها إشارات توضّح قصديّة التسميّة، حيث توحي جميع العناوين بالانشطارات النّفسيّة والخيبات الاجتماعيّة والوطنيّة الّتي جعلت كلّ المجموعة المزدحم- الركض في الدّائرة-عودة أمير الصّعاليك-إشارات من كتاب اللّعنات- مائدة الوحشة- نساء من لحم-رغبات مشروخة- كيف تمسك أرنباً- سيدي هربورد- الكلاب"

في قصّة "رغبات مشروخة" الّتي حملت عنوان المجموعة، يبدأ الكاتب بعبسرة " الظّهر تمامًا، الشّمس تشوي الوجه والجنود الأغرار يتنظمون في الطّابور و أنا معهم أسير والعريف المحمص الوجه يطلق صرخاته الجافّة "..

وهنا تمكن الكاتب من بداية النصّ من وضع قارئه في الإطار العام للقصّة، لكنّه ينعطف فجأة في ذكريات الطّفولة إلى أيام الدّراسة وصورة معلمته الخ)سناء في المني جوب الأحمر، لكنّ ذكرى المعلمة يربطها الكاتب بنشيد "بلادي" يقول : "كلّما سمعتها في الثكنات والمدارس وفي الخطب والتّظاهرات تداهمني تلك الالتماعة وتنجلي فجأة كلّ الغشاوات عن ناظري ويحضر فقط جسد معلمتي القاهر ".

هنا يبدو البطل محاصرا بشكل إرادي بصورة المعلمة الّتي يهرب إليها من وقائعه المولمة، و يرغب أن يستعيد ملامح الرّغبات الطّفوليّة، إنّها الرّغبة بالعودة إلى مرحلة من عدم الوعي والإدراك، حيث العالم الإنساني الواعي مفعماً بالقسوة، والمأساويّة، والسّلطة، يقابله عالم الطّفل بخيالاته العذبة البريئة، ممّا يؤدّي للهرب بالذّاكرة نحو طفولة لا تزال تنبض في داخله.

لكن بارقة الذّكريات هذه الّتي يحاول البطل الفرار إليها تبدو منقطعة مع زمنه الحاضر، فصورة المرأة " المعلّقة" ماثلة في ذهنه منذ الطّفولة لم يوازها حضورٌ في ذاكرة شبابه أي صورة لامرأة أخرى تحرّك أجنحة رغبته، فالبطل هنا لا يتحدّث إلاّ عن صور مركّبة للعريف و الجنود ولحرارة الشّمس القاسيّة الّتي تتفاعل أيضا بشكل سلبي في خيال البطل لتكتمل البورتريّة القاتم الّذي يرسمه المؤلّف، ليكون خليطاً من رغبات محطّمة، و لم يعد تشكلها من جديد، لأنّها شرخت في

زمنٍ ماضٍ وبعيد.

(3)

في قصّة "المزدحم" يتّضح تأثير ألف ليلة وليلة على أقاصيص يحي القيسي، وهذه الميزة تظهر في قصص أخرى كما في "إشارات من كتاب اللّعنات "و" عودة أمير الصّعاليك" الّتي يتكثّف فيها أثر الحكايا الخرافيّة ويحضر عنصر الرّمز بصورة مباشرة من خلال تركيب القصّة القائم على شخصيّات " العجوز- السّاحرة الغولة- الأمير -الصبيّة" ويبدو هذا الجمع المقصود بين الشّخصيات متوافق وترميزي من خلال الإيحاء باستخدام التّراث الماضي للدلالة على وقائع حاضرة وعصريّة.

في "الرّكض في الدّائرة " يعمل القصّ على الدّمج بين تيّار الوعي والسّرد العادي من خلال التّلاعب بالأسلوب في حديث البطل عن ذاته ثمّ خروجه من هذه الذّات ووصف ما يحدث بمجرد هذه الصّيغة، حيث بدت منسجمة مع مضمون القصّة الّتي حملت الطّابع الفلسفي الباحث عن الذّات يقول : "سأثبت لكم يا جماعة وبيساطة أنّي غير موجود، لا داعي للدّهشة والاستنكار فقط ركّزوا معي، نظري تقوم على مقارنة الأحجام، أي باختصار التّوسّع الدّائري نحو الخارج".

وكما هو عنوان القصّة يظلّ السّرد يدور في دائرة مغلقة تدمج بين الظّاهر والباطن، ففي حين يغوص البطل في تحليلات وجوديّة وفلسفيّة، يستوقفه تجمهر الجموع المحتشدة في الشّارع وبين قضايا الآخرين و صراع الذّات يستمرّ دورانه في الدّائرة إلى أن يسقط هاوياً نحو الأسفل حيث يغرق وسط الدراما الصادرة".

و يبقى الخطاب القصصي عند يحي القيسي منحصراً بين صراع الإنسان المسحوق، و الصّراع الاجتماعي الطّبقي بشقيه المادي و السّياسي ضمن هذا الأفق تؤلّف نصوصه تجربة ذات دلالة عميقة، تعمل على كشف الذّات و الآخر.

-رغبات مشروخة - "قصص قصيرة" - يحي القيسي-دار النّسر للنّشر-عمان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الخطاب القصصي في قصص:

(أحزان رجل لا يعرف البكاء)

بقلم : أيمن عبد الرّسول

القاهرة

أيهما يقتفي أثر الآخر النّقد أم الإبداع ؟ وهل نبدع على أسس نقديّة ؟ أم ننقد على أسس إبداعيّة ؟

أسئلة طرحتها قراءتي لمجموعة خالد محمّد غازي القصصيّة " أحزان رجل لا يعرف البكاء "، وحاولت جاهدا أن أسقطها من ذاكرتي عندما أكتب قراءتي الخاصّة، والّتي لا بدّ وأن تدّعي لنفسها التّميّز، ومن القراءات بين زحم العالم القصصي عند "غازي" و بين الكتابات حول المجموعة نفسها-ابتغى-التّساؤل..

نعم .. النّاقد يعرف أنّه يؤسّس النّقد على أسس إبداعيّة و يحاول أن يستكشف سماتها الخاصّة، وانعكاساتها في الرّؤية العامة، حيث إنّ المؤلّف يؤسّس للنّاقد أعمدة النّظريّة النّقديّة، ثمّ تنعكس أسهم التّفاعل فتعود على المبدع مرّة أخرى في حركة ديالكتيكيّة دائريّة لا تنتهي .. و لكن الإبداع رؤية و النّقد رؤية تؤسّس عليه، ثمّ تقنّن للإبداع بعد ذلك.. فإلى أيّ مدى يمكن أن يغيّر الإبداع في النّظريّة النّقديّة سابقة التّجهيز؟ و الّتي غالبا في فكرنا العربي ما تكون مستوردة، فالنّاقد الحداثي يرى الرومنسيّة تخلّفا وتراجعا، و النّاقد البنيوي يرفض أن يقرأ الخطاب الأدبي من خلال منظومته الفلسفيّة الّتي أنضجته، وهكذا تختلف القراءات للنّصّ الواحد، لأسباب انطباعيّة ليس هنا محلّ لتفكيكها وإن كان ذلك محلّ دراسات أخرى مستقلّة.

في (أحزان رجل لا يعرف البكاء) يستغرقك العنوان .. الّذي يحمل هم التّناقض و التّضادّ .. فالرّجل حزين، ولكن

البكـــاء صعـــب عليه.. يقـــول في ثنايـــا القصّة -عنوان المجموعـــــة- "..عندمـــا خلوت بنفسي كنـــت حزينا.. حـــاولت أن أبكي لكن الدّموع كـــانت عزيـــزة المنال" .. من خلال اللّغـــة نستكشـــف بعدا آخر من أبعـــاد المغـــامرة الإبداعيّـــة الواعية، عندما يبدأ القاصّ هـــذه القصّـــة بمقطع لا يحتوي على أكثر من كلمـــة (1) افترقنا (2) ... مقطع جديد يحوي ومضـــة، ومشهد امتزجت فيـــه اللّغـــة السّـــينمائيّة بالمسرح الّذي يشاهد فيه الرّاوي/ المؤلّـــف مشهدا يعكس من خلالـــه مأســـاتـــه العاطفيّة وهي التّناقض بين مظهره القـــوي وقلبه المطعون الضّعيف، وربّمـــا كـــان اختيـــاره للمســـرح الّـــذي يتداعـــى في الذّاكرة كالدّنيا الّتي يمثّل فيها كلّ النّـــاس على كلّ النّاس، ولا يصرّح بضعفه و لكنّـــه يسقطه على بطل العرض المسرحي الّـــذي يمثّل دور الحجّاج ذلك القناع الّذي يرتديـــه كذلك الممثّل المتخيّل في ذلـــك العـــرض المسرحي، و زيادة في تفعيل الحالة النفســـيّة الدراميّة للحدث، تكون محبوبة الحـــلاج.. هي نفسها محبوبة المؤلّـــف/ الـــرّاوي و لا ندري أهي الّتي تمثّل الآخر أم هـــي الّـــتي تجلـــس في الصفّ الّذي يلي الراوي البطـــل في الوقت نفسه فالتّركيب اللّغوي الّـــذي تناصّ وقتيّا بين ظهور محبوبة الحلاج علـــى المسرح و بين اكتشاف الـــرّاوي البطـــل محبوبتـــه في الصفّ الأمامي في المســـرح، وهذا التّنـــاصّ الوقتي يعكـــس حالـــة الالتباس والغموض الّتي تحيط بـــالرّاوي في السرد.. وإيمانا في السّحريّة مـــن الـــذّات يسرد المؤلّف هـــذا المشهـــد " **فتحـــك تضحكين وأنـــت تشاهديـــن مشـــهد** محبوبة الحجاج وهي **تقسو عليه..تستغلّ** حبّها.. وتجلده بهذا **الإسقاط النفسي بعـــد** مقدّمة منطقيّة لما سوف يـــأتي في **ســـرد** الراوي الّذي يبدّل **الأقنعة بـــين الحـــين والحين**".

وبعد سرد مضن لقصّة الحبّ الفاشلة المتكرّرة كثيرا في الخطـــاب القصصـــي.. ينجـــح المؤلّف في أن يختطّ لنفســـه لغـــة جديدة شفّافة تعكس أحلام شابّ من هـــذا العالم.. خدع بالمرأة كما خدع بالمبـــادئ الزائفة.. فالمرأة و المبادئ كلاهما أقنعـــة.. المبادئ أرادته معتقلا و المرأة أرادته بـــلا مبادئ فاختار المبادئ..ليرى امرأتـــه بـــين يدي آخر.. لكنّه -والبعد النّفســـي هنـــا متميّز- يبدأ من جديد.."**في كلّ مرّة أكبـــو فيهـــا أقول لنفسي : أبدأ مـــن جديـــد..**

واليـــوم أقول لنفسي لماذا لا تبـــدأ مـــن جديد ولكن : هل كلّ أناس هـــذا العـــالم سيبدأون من جديد ؟"

هذا التساؤل القلـــق و المطلـــق لا ينـــهي القصّة.. ولكن يفتح بابًـــا مـــن أبـــواب الاستفهـــام الّتي تفتح بدورها الباب لعـــدد مـــن النهـــايـــات الّتي لا تبدو ســـــعيدة دائما! ولكـــن لا بدّ وأن نعود للتســـاؤل عن الخطـــاب القصصي الّذي يقدّمه لنـــا **خالد غازي.**

اللّغة بوتقة التّجربة :

يعدّ خطـــاب المؤلّف القصصي مـــن حيث اللّغة خطابا رومنسيًا مثاليًا، يتنـــاص مع آليـــات الخطـــاب التصـــوّفي القـــديم والمعـــاصر، (النـــصّ ص 97، 157) فالمفردات محلّية بالمجاز، واللّفظ أو الحـــرف يمضـــي عنـــده حيـــث القصـــد، يتميّز بالشّفافيّة و الوضوح والصّراحة، ويتمسّك باللّغة العربيّة الفصحى أيّا كان مكـــان أو زمان الحوار، و الأمثلة كثيرة بـــدءا مـــن اختيار عناوين قصص المجموعـــة، تحمـــل صـــورا إنسانيّة بلغة حـــاول جـــهده أن يبسّطها بالفصحى و لم ينحرف إلى دائـــرة العاميّة رغم إنسانيّة هذه المواقف بين ابـــن وأمّه و اللّغة المتصوّفة نلمحها بســـهولة في (التّداخل) العنوان المقطعي الثـــاني الّـــذي يقول فحته (يـــا ابن الصّـــدق والصّـــلاح **وابن العطش.. يا أيّها النبض في دمنـــا.. الساكن في شرايينا.. بحيويتك، بوهنـــك واصفرارك-سلام عليك-يا ابـــن أمّـــك ووحيدها.. نم مطمئنا يا صاحب النّفـــس المطمئنّة).. فاللّغة تتميّز بالحيويّـــة المفعمـــة** بالوحي النّفسي واختيار التقـــابلات بـــين الصّدق/الصلاح/العطش.. اختيار موفّـــق يوضّح ملامح لغة خطاب متميّز، يتداخـــل مـــع غيره من النّصوص الشّعريّة، ولهـــذا فلغـــة الخطاب القصصي عنـــد المؤلّـــف مفعمة بالشّاعريّة ذات الدّلالة..وإن كـــان المؤلّـــف يستخدم ضمـــير المخـــاطب في بعض القصص بشكل السّرد الوصفي، فإنّه يصف المشاهد بلغة خاصّة تتفـــاعل مـــع الوصف، ممّا يعطي انطباعا بتداخل الـــرّاوي مع المشهد الّذي يسرده.

والجديد في خطاب خـــالد غـــازي القصصي هو تفاعل مع اللّغـــة الســـينمائيّة وهو شكل الجدل بين لغة الأدب والســـينما في المقاطع المجـــزّءة و المرقّمـــة كمشـــهد ويصرّح المؤلّف بذلك ضمن إحدى قصص المجموعة فيسرد مشاهد من سيناريو فيلـــم

تسجيلي ويدّعي -في مكر ذكي- أنّ الصّورة الّتي يكتبها هو عن الوصف (النصّ ص 12) فيسرد مشهد (1)، (2)، (3)، بنفس لغة كتابة (5).

واللّغة الشاعرة في خطابْ تتضح أكثر في قصّته المعنونة (امرأة في الغربة)، فهو شعر منثور يستخدم في رسم القصّة (أمسك فرشاتي/أرسم وجهك/أمحو وجهك بالمحاة!!)(ويلي لو أخطأت الفرشاة/أرسم وجهي/أمحو ملامح وجهي يحمل أحزان العالم؟!/وجهي يخرج كلّ مساء/ يتحوّل في طرقات مدينتنا/يغني للعشق المقهور/ويجفّف أحزان الفقراء.

التّجربة /الحلم / القهر

الحزن في عالم هذه القصص هو الغطاء الّذي يستر كلّ الأشياء، و التّجربة الإنسانيّة هي الموقد الّذي يشعل به الكاتب الأوراق فهذه التّجربة الحيّة هي الوحي، الذي يكتب من خلاله المؤلّف فأنت تقرأ قصصا واقعيّة تعتمد على التّجربة الإنسانيّة في صراعاتها الجدليّة الهابطة/ الصّاعدة مع الحلم / الأمل / الحياة و القهر/ الإحباط / الفشل.. من هذه الصّراعات على كافّة المستويات المتباينة صراع الإنسان مع القدر في موت امرأة تنتظر ابنها الّذي لا يعود قبل موتها ! صراع الإنسان البسيط مع الحياة المرهقة في فشل قصص الحبّ لأسباب ماديّة

و الإنسان البسيط هو عماد التّجربة الإنسانيّة المؤسّسة لخطاب "غازي" القصصي، فهو ليس ضدّ المرأة، ولكنّه متعاطف معها في قصّته (من أوراق امرأة تنتظر) والّتي صاغها ليعبّر فيها عن صراع أنثى مع نفسها في ظلّ انتظار الرّجل الّذي لا يجيء، و المرأة في خطابه القصصي تحتاج إلى قراءة خاصّة لتكشف من خلالها عن تنوّع دورها.. فهو ليس مع أو ضدّ المرأة، ولكن ثمّة خصوصيّة تشكّل علاقة البطل / الرّاوي/ المؤلّف بالمرأة فهو يتعاطف معها أحيانا، ويقف ضدّها أحيانا أخرى، و يكون لا مباليا بها في معظم الأحايين (النصّ ص 29)

و أصل إلى الإجابة عن سؤالي الّذي بدأت به القراءة.. هل يؤسّس هذا الإبداع-التّموذجي-الرّومنسي- النّقدي نقدا جديدا ؟! إن خطاب خالد غازي القصصي يضع نفسه في غير مقصود مع لغة الخطاب النّقدي العربي المعاصر

الحقيقي، الذي لا يستورد المذاهب النقدية الغربية، فهو ينبع من الواقع المحلي البسيط، وإن كان لا يخلو من طموح فلسفي، و يتحدث عن مشكلات الشباب والحياة بلا إغراق في الحداثة التي تستدعي النقد الغربي، و لذلك فهو يضع الخطاب النقدي الأدبي المعاصر في الفكر العربي-أقول : يضعه في مأزق..كيف يتجاوز الإبداع / النقد / الواقع المعاصر- وكيف نتحدث عن الحداثة و نحن لم نؤسس التنوير، و يؤكد على أن النقد والإبداع كليهما وليد فلسفة كاملة..رؤية للك و الإنسان و العالم ويرد النقد الحداثي إلى حدود الخطاب الأدبي التقليدي والذي يتطور بحسب ما تحتاجه الضرورة ولا يحلق في آفاق اللامعقول..

الإبداع -قطعا يسبق النقد، والخطاب القصصي عند " غازي " يؤسس نقدا لا يطالب بالحداثة وإن حاول أن يتجاوزها شكلا، وإنما يؤسس نقدا يرتد بنا إلى المرحلة الرومنسية التي ما تجاوزناها إلا إرضاء للخطاب النقدي الغربي المعاصر، والتي أهلها خالد غازي، فكتب إبداعا شفافا ليس منشغلا بالخطاب النقدي وإنما منشغل بهمومه وأطروحاته الفكرية بالأساس وهو ما جعله يتسم بالصدق، لأن كلا منا ينعكس عليه أحد أقنعة خالد غازي القصصية فمن منا ليس رجلا..عندما نحزن..يحاول ألا يعرف البكاء ؟!

بهذه البساطة و التلقائية و الرومنسية نجد الخطاب النقدي المعاصر في واد.. والإبداع القصصي في واد آخر.. فنحن بحاجة لأن نحكم على الإبداع من الداخل.. لا من الخارج، فنتناول العمل الأدبي في سياق ومنولوجه الداخلي وسياقات كتابته التاريخية، فلا نحكم عليه بالصواب أو الخطأ-ربما أدركت التفكيكية ذلك- ولا بالتأويل وفك الشفرة، ليكن الخطاب الإبداعي حرا فهو الذي يؤسس نقده الخاص و ليس العكس.

إن قصص هذه المجموعة (أحزان رجل لا يعرف البكاء) ماهي إلا مرايا تعكس جوانب حية من أنفسنا.. صحيح لا تتسق مع خطاب ما بعد الحداثة النقدي، ولكنها تتسق مع الخطاب الإنساني وطلبه الملح في العودة إلى الرومنسية.

• • •

-أحزان رجل لا يعرف البكاء- قصص قصيرة- خالد غازي- القاهرة- وكالة الصحافة العربية-ط2001

حوار مع الشّاعر :

منوّر عزيزي.



حاوره : محمّد العايش القوبيّ (المتلوّي)

على هامش المهرجان الوطني للشّعر بمدينة المتلوّي الدّورة التّسعة أيّام 4و5و6 ماي 2001 م (وظيفة اللّغة الشّعريّة) جاء الشّاعر منوّر عزيزي (أصيل بو سالم) قادما من مدينة الجلاء بوزرت حيث يقطن ويعمل للمشاركة في الأمسيات الشّعريّة لهذا المهرجان فالتقيته وأجريت معه الحوار التّالي:

س1): بطاقة تعريف الشّاعر منوّر عزيزي ؟

أنا يا سيّدي
طفل الحقيقة و الغياب
مازلت أطمع في قصيدٍ
يربك الأشياء و الأسماء
يحميني من الموت
يقاتل في طريقي
كلّ أسنان السّرابِ
سيجيء يوما من وراء العمر
يطرق كالصباحات على بابي
سيأتي الدّنيا به لوجاء
أنسى أنّي لا ملكَ لي
إلاّ لبابي.....

منوّر عزيزي، مترع بالشعر حتّى الكتابة صدرلي حتّى الآن : مجموعتان شعريتان :

- خطى على ساحل القلب سنة 1990م
- فرح السّفوح سنة 1997م
- عضو اتّحاد الكتاب التونسيين.
- من مواليد مدينة بو سالم الجالسة على الكتف الغربي في شمال وطننا العزيز تونس، مازلت أشعث أغبر تسكني بداء البداوة ويشدّني الحنين إلى بلطة والسّمران و المينة وزرزاية ومنابع البسمة الأولى والدّمعة الأولى و الزّمان النقيّ هناك.

س 2) : الحركة الشّعريّة في تونس؟

ما أراه شخصيّا في هذا الشّأن أقول لنا في تونس شعر كثير وهي ظاهرة صحيّة

ومن يدّعي غير ذلك فهو مريض لأنّ الشّاعر التونسي المبدع أصبح متميّزا ومتفرّدًا وقماشه الشّعري غير مستورد ولا هجين غير أنّ الأعمال النقديّة تبدو غالبة وربّما لصعوبة مهمّة النّاقد التي تتطلّب الإمهال التأمّل والاعتكاف لرصد التجارب والأعمال الإبداعيّة سواء في الشّعر أو الرّواية ويبقى النّقد في نهاية الأمر ضرورة ملحّة حتّى يتواصل المبدع مع المتلقّي.

س 3) : موقع التّراث العربي في شعرك؟

لا يمكنني أن أصف التفّاحة هكذا معلّقة في الهواء فالفتنة كلّ الفتنة في وصفها وهي تعانق غصنها هذا الغصن الذي لا بدّ منه و كلّ مبدع أو شاعر مهما كان متجاوزا، له مرجعيات أدناها اللّغة التي يستعملها فهي تحمل بذرة التّراث في ذاتها وضروب الشّعر الموروثة والمفهوم الأساسي لمقوّمات الشّعر، برهنت على أنّها ثابتة بصورة غير عاديّة، وظلّت عصيّا على هذا الحال دون أن يطرأ عليها تغيير كبير حتّى يومنا هذا.

ومازالت حركات التّجديد الهادفة إلى إدخال ضروب شعريّة جديدة تخوض معركة شاقّة ليقبلها النّاس على نطاق واسع.

س 4) : تعاملك شعريًا مع الأسطورة؟

إنّ استدعاء الأسطورة في أيّ نصّ شعريّ تخلع عليه ثوبا من الحقيقة النّسبيّة لا المطلقة وإنّ الأسطورة من خلال دعومة تأويلها تغريني كثيراً و تجعلني لا أستقرّ على قرار بينها و يرمي حباله على أصابعي في لحظات الكتابة الشّعريّة.

س 5) : ما علاقة ازدهار الإبداع بحريّة التعبير ؟

يقول سارتر : (نحن محكوم علينا بأن نكون أحرارا.) وأنا من واحي كشاعر أن أعيش في حاضر متجدّد دائما واستعيد من الماضي ومن المستقبل فأربطهما بالأبديّة التي هي النّبع الذي يرشح بالحياة وتجربتي كشاعر تضعني دائما في ملتقى بين الحريّة التي تغريني لمباهجها وبين عديد المواقف التي تضغط على قلبي فتسكنه الحيرة هذه الحيرة التي تحرّك بركة الأحزان الشّعريّة.

س 6) : ما جديدك في الإنتاج والإصدار ؟

لي مجموعة شعريّة ثالثة ما زالت

مخطوطا سأكـــون سعيدا جدّا بهـــا حـــين ترى النور.

س 7) : في نهاية الحوار ماذا يضيـــف الشّاعر منوّر عزيزي ؟

ما أضيفـــه هو أنّـــي أشـــعر بنخـــوة الانتماء لتونس هذا الوطن الذي لا يقـــول للمبدعين ("-كونوا قردةً-") ولا يقـــول للواقفين ضدّ الحياة و الكلمة الشمســـــة (-اذهبوا فأنتم الطّلقاء-)

وأختم بهذا المقطع الشّعري :

أنا شاعرٌ يا بلادي و إنّي
كمـــا تلْبـــينَ الهـــى ألْبسُ
اجوعُ و اعْرى واضْماُ جدّا
و حولي المسافات قد تيْبسُ
ولكـــنْ اظـــلُّ غنيًّـــا بحبّي
إذا الـــواهمون غدًا أفْلسوا
و أغْلِنُ حبّي لكِ يا بلادي
و لا أتخفّـــى و لا أهْـــمُ

في الأعداد القادمة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- ماما.....شعر : آمال سفطة
- سؤال.....شعر : هادية السّالمي
- الحلم الواعد.....شعر : فلّة ميهوب شوشان
- شاعر.....شعر : سالم المساهلي
- مملكتي الزّرقاء.....شعر : مفيد الرغوثي
- لينُ الحبّ...و الشّعر..و الفناء.....شعر : محمّد خليل عنّو
- لبغداد ألف سلامٍ.....شعر : محمود غانمي
- رغائب لكينونة هاميّة.....شعر : مصطفى غلمان
- أركان.....شعر : آمال نفطة
- هجرة وفراق.....شعر : عبد الحقّ الطّرشوني

لقاء مع الرسّامة :

رتيبـــة بوزيتـــة



[أحاول تروي ـض الموادّ الصّلبـة واللّيّنة وجعلهـا متناغمة حدّ الألفـة]

التقاها وحاورها : جلال بايلي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الرّسّامـة رتيبـة بوزيتـة، تعشق كل عناصر الطّبيعة لأنها هي المرتـع الحقيقـي لفرشاتها وعالمها الطّفولي الشفّاف الّذي التصق بإبداعها.

رتيبة بوزيتة، مروّضة محترفة للمواد الصّلبة بفضل حذقها و تمرّسها الرّسكلة" بين المواد النّاعمة والخشنة لتستقيمَ العمليّة فكرة تشكيليّة تُحاذي الرّوعة في أبهى حُلَلِها، فيصنعَ هذا الفعل تعدّد وخصوصيّة الرسّامة رتيبة بوزيتة الّتي برهنت رغبتها في التّحديث ومواكبة شطحات عصرها، ترتسمُ على ضفاف لوحاتها لمسات حدّيّة ثابتة، يعكس قُماش مرْسِمِها اختلاجات وأحاسيس مبْدعة تسبحُ على تلّة الحياة شادّيّة بصفاء الكون و سحر "المدينة العالمة"، يمتصُّ متحرها التشكيلي رعشة الحواسّ ويربك لغة الفُصول، ليُحيل الذّات على دهشة الألوان.

إختلسْنا بشيء من الخجل بعض الرّدهات النّادرة من هدية المبدعة وارتحلْنا نقطف شتاتا من روعة التّجربة التّشكيليّة النّاضجة لهذه الفنّانة، فكان السّؤال حارقاً بالشوق ووُلِدَ الجواب من رَحِمَ المشهد مشرّعة نوافذه على عديد المناخات فصنعْنا معًا جمال هذا اللّقاء :

1/ لو ترجمين لنا بالكلمة مغامرتك مع فنّ الرّسم !

– هـــي مغامرة تلازمني باستمرار و تلاحقني دون هوادة و تعكس أحاسيسي، فـــنّ الرّســـم توأمـــي نشـــأ معي و تطوّر فهو يكبّر و ينبض فكلّما توغّلت داخل أعماقي أكـــثر كـــانت المغامرة شيّقة وكان العمل الفنّي نابعا من الرّوح و الوجدان.

2/ ما هو أفضل إطار زماني يستجيب لرغبتك لرسم أجمل اللّوحات ؟

– ليس للإبـــداع الفنّي زمان محـــدّدٌ ولا مكان معيّـــنٌ. فهو معنا في كـــلّ الأمكنة وفي كـــلّ اللّحظات.


ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

و اللّوحة قبـــل أن تتشكّل هي كجنين تحسّ بـــه الأمّ ولا تعلم لحظة ولادته. فاللّوحة الفنيّة تولـد دون استئذان ودون تأشيرة من مبدعها.

وهو مع ذلك يُمكـــن أن تتـــأثّر بالمكان و الزّمـــان وحتّى بالعوامـــل الطّبيعيّة فمن خلال تجربـــتي الشّخصيّة وفي أعمالي الفنيّـــة كـــان العـــامل الطّبيعـــيّ دور في تغيير الاتّجـــاه الفنّي في الرّســـم، لقد مثّل الظّرف المنـــاخي المفاجـــأة في تحويل مضمون اللّوحة جذريًا فمن لوحة بشخصيّة إلى لوحة تجريديّة

3/ مـــا هي حـــب رأيك خصوصيّات التجربة النـــويّة في الرّسم على مـــــــتوى تونـــس والوطن العربي؟

تتميّز المرأة التونسيّة و العربيّة عامّة بإحـــاسها المرهف الفطريّ الّـــذي تـــترجم لوحاتهـــا تفـــاعلهـــا مع ألـــوان و الأضواء و القضايا الإنسانيّة بُصفـــــي رونقـــا وجماليّـــة تعكـــس خصوصيّتها فحضارتنا العربيّة حضارة عريقة لها جذورها لذلك فإنّ الـــتّراث متـــأصّل فينـــا. وكرّسّامات عربيّات فنحن نضفي جماليّة تاريخيّة تستحضر الغابر و تخلّد العـــابر، وتستشـــرف المستقبل.


ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

4/ نلاحظ أنّك تعتمدين عديد التقنيات في لوحاتك فهل يُعتبر ذلك بحث على التفـــــرّد أم تنويع المواد في إنجازاتك التشكيليّة ؟

- هواجسي في الفنّ جعلني متعطّشة إلى التنويع و المرور بالعديد مـــن التقنيـــات المختلفـــة واكتشـــاف أسرارهـــا والتمكّن من مكنونـــهـــا وهذا ليس من باب البحـــــث علـــى التفرّد بل هو حبُّ التنوّع والاختلاف و بحث متواصل لمحاولة ترويض المـــوادّ المختلفـــة الصّلبة و اللّينة وجعلها متجانسة و متناغمة إلى حدّ الألفة .

5/ ما الّذي يشدّك للطّبيعة : جمالها أم رغبتك لإعادة رونقها أو تجانس عناصرها ؟



كلّ شيء في الطّبيعة يشدّني جمالها سحرها، فهي المنبع الذي أستمدّ منه ألواني وخطوطي وأدواتي فهي الحسّ الّذي ينبض دائما في كلّ حالاتها في تقلّبها واستقرارها في هدوئها وسكينتها وفي هياجها وثورتها. فالطّبيعة مع كامل عناصرها هي منبع إلهامي وعشقي لها وغيرتي عليها جعلني أحوّل المواد الصّلبة وقوارير بلاستيكيّة وغيرها ...وهذه الموادّ عادة ما تتسبّب في تلوّث البيئة إلى موادّ تجميليّة و فنيّة تجعل البيئة أكثر رونقا وصفاء، وذلك بمحاولة تطويعها وتكييفها بطريقة تجعلها صالحة للاستعمال والترويق فتكسب أبعاد إجماليّة فنيّة.

فالفنّان في نظري له وظيفة اجتماعيّة حضاريّة بالإضافيّة إلى دوره كمبدع في مجاله الفنّي الخاصّ به.

6/ هل يستطيع الفنّان التشكيلي تغيير وجهة العالم وبثّ السّلام في جميع أنحاء المعمورة عبر إنجازاته ورسومه الفنيّة ؟

– طبعا الفنّان التشكيلي له دور حدّ هام. فهو يستطيع تغيير وجهة وبثّ السّلام بل هذا من

واجبه أنّ العمل الفنّي هـــو مسؤولية ورسالة وهو خطاب، نداء، فكرة، قضيّة، يجـــب علـــى الفنّان التشكيليّ أن تكون ريشته ناطقة وواعدة تتكلّم بلغـــة العصـــر و الحداثـــة و الـــتّراث فبشاعريّته وحسّه الجمالي الكامن في ذاته يتوصّل الفنّان إلى التعبير عن مخزون عظيـــم خـــاف وخَليٌّ في الآن ذاته غامض وواضح في الوقت نفسه.

وهذا لا يقتصر على الفنّان التشكيليّ بل يشمل سائر الفنون الأخرى.

الرسّـــامـــة رتيـــبة بـــوزويتة في سطـــور :

- رسّامة تشكيليّة أصيلة مدينة قصر هلال نشأت منذ الصّغر بمدينة سوسة.
- نشـــأت هاويّة للطّبيعة وأسرارها وللتّراث وكنوزه فرأتفي ذلك مصدرا لمشاعر وآمال حـــاولت تسجيدها في لوحات فنيّة.
- وفي صلـــب الفنّ نفسه تلقى الرسّامة رتيبة بوزويتة واعي البيئة فهي تلوذ إلى المواد البلاســـتيكية المستهلكة تعيد توظيفها تشكيليا وذلك ببعثها وبث الرّوح فيها.
- حرفيّة ساهمت في إحياء الصناعات التقليدية، رسّم على الجلد وعلى الخزف و الأصداف.
- شاركـــت فـــي العديد من المعارض و المهرجانات الجهويّة و الوطنيّة و الدوليّة، قامت بقرابـــة 42 معرضا (شخصيّ وجماعي).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المعارض :

- برواق بوجعفر جويليّة 96
- بالمستير في المهرجان الدّولي للفنون أفريل97
- بتاج مرحبا بسوسة في مهرجان سوسة الدّولي، المبدعات العربيات ماي97
- بنادي الثّقافي الطاهر الحدّاد بتونس أفريل 2000
- بقصر المعارض بالكرم نوفمبر 2000
- وأخيرا بالمركّب الثّقافي بسوسة نوفمبر 2001 و بمحطّة المترو ديسمبر 2001 بالمنستير

إذا سألوني...

شعر: محجوب الجلاصي

إذا سألوني عنكَ
هربتُ إجابتي بعيدًا
ذاكَ حبيبي
غمرني باشراقة
بلح للورد خجل
وحين أشرقت النهاية
سقطت الاعترافات
في الليل
أذهلني خيانة
يا أنتَ...
ذاكرتي دخلتْ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في مهات

سخرية القدر

وانت النار

تحاصرني في

كل الاتجاهات

تآمر مع خيانات

الليل ضدي

وتسقط كل

ARCHIVE
ما يحفظ بلدك
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تسرق معهم

أحلامي

وتأخذ دميتي

وقطعة الحلوى

تدفع وجهي

لضياع...

وتقول: تلك كانت

حبيبتي...

***

إذا سألوني عنك

سأقول: ذاك جرحي

الممتد...

ذاك حزني...

الذي لن ينتهي

فكروا عن مناقكم
ARCHIVE
لي بالفرح /.
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أين أنتِ

شعر نيل جميل

العراق / البصرة

الشمس تُشرق في بلادي مرتين

العشق ينبض في فؤادي مرتين

العين تدمع كلما اقترب المغيب دمعتين

أحداقي تنظر للأشياء دوماً مرتين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كل شيء في حياتي

صار يُشبه مركبين

يرحلُ الأول شمالاً

يرحلُ الثاني جنوباً

أين أرسو ؟

أيُ شاطئ يجلسُ العشاق فيه بأمان ؟

أين رنان السفينه

أين أخفوك رهينه

أين أنتِ يا ملاكي
سأراكِ .... سأراكِ
وإذا ضاعت حياتي سأراكِ
شعركِ الرقاف باقِ
مثل طيات الشراعِ
وكذا جيدكِ يحكي
جيدُ غزلان البراري
أخبريني عن حياتي
فأنا ما زلتُ مرهونًا بذراعيكِ!
آه يا حلوتي عذبي
روحي الولهى تعاني... ما تُعاني
من أقاويلِ الزمانِ
كم بعثتُ لكِ أشتاتَ رسائل
نفدت كلُ مريقاتي الجميلة
أتشكى لفحة الشوق المماطل
سئم الليل شجوني
واصطباري وأنيني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أين أنتِ الآن يا دنيا فنوني ؟
أتملأ على البعد البعيد . . في صباح و مساء
أخرى ذكرياتي
أملأ الكون ندآء و اسيآء
و أنادي في تهاويم صلاتي
أين أنتِ
أين أنتِ
يُرَجِّع صوتي
أنني أخبر من عندك ذاتي
أنا في خلوتي لثمات يداك هامسي و صوتي
أوَما تدرين من أجلكِ أقضي كل وقتي . .
أو ما مرغت نهديكِ الغريرين و قلتِ
زِد إذا شئتَ
ففي لمسك هذا
زِدتَ شوقي
رحِمَ الله هوانا
في دُنى الشوق المشتِ .

أنتِ... أنا الإنسان

شعر سعيد الشابي



* من أنا ؟...

تساءلت، والحزن في أعماقها

* أنا ملاك؟...

* أم بلاء، أنا؟...

* أكنت روحا أبيض؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* أم كنت روحا أسود؟

* أنا آتي...

* لا تبتُ... لا عتبُ...

* لا ملاك... ولا بلاء.

* من أنا ؟.

* أأكون ليلة ثالجة؟

* في نسيانها الرغبة الجامحة

* أم يوما مشرقا

* في البحث عنه إلحاح

• أكنت ورقة بابسة ؟

• بين ثنايا قصة عاصفة

• تركت ؟...

• أن تغمر أغنية ؟..

• يرومر العاشقون وقع صداها

• أكنت أجمل ذكرى ؟

• لنا في حفظها البخت...

• أم أسفا ؟..

• همنا فيه صرفه ؟

• أكون فوق الرمال أنا ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

• يمسح...

• كلما البحر... كرفق ؟...

• أم سر انظرها ؟..

• في القلوب حفر ؟

• أكون الكارثة ؟...

• تسعى... في جلها...

• ريح الشمال ؟

• أو وشوشة عذبة

•تصيغها الأذان ؟...

وتمضي الصديقة..تسأل.

•أأنا؟..هل أنا؟..من أنا؟..

وتنهار قائلة...

•فلأكن ما أكون.

* * *

فأنت يا صديقتي...

وجدتك أنا.

وجدتك أنت..يا أنا...

وجدت كلينا هما...

هم السابقون من عهد آدم...

هم الآتون بعدنا...

شيء لم يتغير...

لن يتغير.

* * *

نحن فقط..ميزتنا...

أننا أردنا...

أن نكون أنبياء

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بلا أجساد تجسنا...

تُجسنا.. تُرهقنا..

أرأيت.. حسبتي؟...

ما أبشع الأجساد...

لو كنا بلاها...

أرواحا... تشاجى...

تعانق... تلتحم...

بلا تشويه يفضحها.

* * *

كوني مرتكوني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فانت... كانا... جسد.

يحمل سجينة ظُلمت...

تتوبه،

يُرمق بها،

يتهار... يطلب الغذاء...

يطلب الدفء...

يشد اللذة... في عز الشقاء

قَدَرُهُ...

بين الشر و الخير قضاء.
في الجنس.. وفي الغذاء.
وجوده تثبته القوى....
بروح البقاء.
وما بعدها.... يا أنت...
وسائل للانشاء.
وسائل للارتقاء.
كي لا يُقال أغبياء.

* * *

شفاؤنا...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فرط إحساسنا.
أن لا نكون كالآن...
كالناس.
أن لا تكوني حواء.
أن لا أكون آدم..
نحن أسمى من الطين...
أسمى من الماء.
وهذا... في الوجود غباء...

لدى الطبيعة هراء.

* * *

فلنصدق أننا...

بشر... من طين وماء...

لنا المحتوى...

ومنا الوعاء...

وفينا...

أرقام قضاء السماء.

ملاحظة:

الجزء الأول من القصيد والحامل للعلامات (***) هو جزء من قصيد لشاعرة صديقة، كتبه باللغة الفرنسية تحت عنوان (Qui suis-je). ووقعت ترجمته من طرفي- أرجو أن أكون قد وفقت في تأدية الأمانة بكل صدق- وبذا سولت لي نفسي بأن أرد عليه...

وجاء القصيد المنشور، كسؤال من الصديقة وجواب من عندي هذه التساؤلات...

نشر النص العربي- الترجمة جزئيا أو كليا، نفذ الاتفاق عليه من الطرفين، في حين يبقى نشر النص الفرنسي من حق الزميلة فقط.

وبالمناسبة، أتوجه لها بالشكر الجزيل.

سعيد الشابي - شتى انترفي 2002/03/08

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تفاحك العطر

فاضل كمال الدين
(العراق)

أنا غريب، غُربة نبتةٍ إستوائية،
زرعوها في ثلوج القطب.
أنهاري ثلاث،
وأوراقي ذبلت،
وساقي إنكسرت وأجدبت،
لا يُزيل غُربتي أو يُحييني
لا ثمن الماء الرحيم،
ولا نسمة الريح المعطر.
لا يُزيل غُربتي أو يُحييني سوى تفاحك العطر:
البضائع الذي في خدّيك،
و القلح الذي على صدرك،
وعندئذٍ تتألق أزهاري،
وتينع أوراقي،
وتظلني باقي، عندما سأرضع من تفاحك العطر.
ولولا تفاحك العطر،
ما أنا إلا نبتة استوائية،
زرعوها في ثلوج القطب.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حكيُ الرّيحِ

شعر: أميرة الرويقي

على وجوهِ الهواءِ
أثبتُ
قمرًا.
أترتاحُ الأنواءُ على سقُوفِ النوارِ؟
أنهضُ من كبوةِ
عرائنا؟
أم هي أجسادنا قد بدت أشجارًا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عارية؟

بدايةَ قرنٍ
أخواءُ في جيوبِ الزمنِ؟
أم زيزفونٌ قديمٌ
سيولدُ من حيرةٍ
ترتحلُ؟.
هذا المساءُ حيثُ القمرُ
يخسفُ في حندسٍ
ينهارُ من دوسِ السنا

يـا قـلـبُ
يـا تـلـقُ
يـنـازعُ لـلـغـلـقِ بـنـاى.
إيهٍ.. يا دَرْبَ الريحِ
إلى أيْنَ؟.. ترنّو طقسًا
يَفِـسـقُ؟
تقصفُ نُهودًا تدلّتْ
من فوق بلى ؟.
تمْلِى: الحانةُ الرقطاء
دُوارا.
يسافرُ من رؤ
بـاعـةِ
تكدّست في قعرِ أحلامهمْ
أسرعةِ الريحِ تصطبي
حبـاةَ العـرقِ.
قد تَبَاعُ من هؤلاءِ أعضاءنا.
قد تتكسّرُ عرباتُ السمومِ
وهي تُحلقُ جذلى
نحوَ أعضائنـا.
لِليلةِ رأسِ النورِ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فِنينةُ تُمثلي قمرًا.
في ليلةِ رأسِ العشقِ المحرمِ
نمتُ مع القمرِ،
توسدتُ أعضائي.
جاءَ الصباحُ علقمًا
في رحمِ الرغبةِ المُسكَرةِ،
فوقَ شراشفِ الإنجابِ.
أمسيتُ، وقتَ تهاوى القدرُ
خائرَ الحنينِ
امرأةً تسلل عطورها الحضراء
من غمد الأيام.
هي الريح تجيء... تجيء
في حوضي.
تسابقُ الأنهارُ ذرواتِ
آدمَ.
وأغدو في ليلةِ رأسِ القصفِ
أنثى.
تُذبحُ مواخيرُ الهزائمِ
على مصارعِ المومساتِ
نمثلي.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مرؤوسًا تهيأ للقيظ القادمِ
أزرارُ صدئة
هي.. جماجمُ المُشردين
يُعادرون أزقةً تتحطمُ
ثم من جديدٍ تبيعُ
فوقَ هراءِ يظماً للربيعِ
والجُدرانُ هياكلُ
خرساءُ
الجُدرانُ سفنٌ تُشقُ
عُبابَ الجماجمِ الوقحةِ
لا تهدأ
الريحُ
تصنعُ وجوهَ الباعةِ
وأكياسهم مثلي
حذاءُ اليمينِ
فستانًا
الباعةُ ابتاعوا هذا المساءَ
ريحًا تتعللُ
زورقٌ مُهدلٌ
للهواءِ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ذي أبجدُ الهواءُ
الزمرقَ المهدلَ؟.
بضاعةٌ
في أسواقٍ بلا أفواهٍ مشرعةٍ.
أينَ في قعرِ الهواء،
نوافذ لا تعثرُ
أينَ من جمعِ الكلامِ
قامرُ النائحات؟.
أينَ أنا؟
حين قرعتُ صهيلَ الروابي
والسفحِ
غبارٌ يكسرُ الصدى.

من هيادبِ الزقزفِ
اقطفتُ السماء،
عَودٌ إلى الريحِ الأولى
نحنُ
بدايةُ قرنٍ
اهتزاءٌ.
همهمةٌ وجلةٌ في صمتٍ
سقطٌ.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بدايةُ طرقٍ على قارعةِ العقربَةِ
هي انفاضةٌ هيفاءُ.
هُوَ سَعيرُ
في الامتدادِ.
نُطفةٌ قد تتلاعُ
وقد لا تتلاعُ.
كمْ من كُؤوسٍ
في مُهملاتِ الوقتِ؟!
كمْ من أعضاءٍ تضيعُ
كمْ عددُ الرُعْدِ في حناجرِنا؟
سلالمُ رقصٍ
للانهمارِ الأجلِ.
أضاعدُ رؤى في النورِ الأولِ؟.
كوثرُ الليلِ فجرٌ،
نُجيماتُ الغلسِ تهاوتْ لشعوبٍ.
قرنٌ... صحتْ البلاتُ لشدمرَ.
أنسلمُ
وقرقعةُ الريحِ تضطرمُ؟!
طقطقةٌ
تستيقظُ أعشاباً.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تل أبيب

أين أوشحة الإدهمام عشى

تعتري وجهك المولود؟.

تل أبيب:

يُجثث الطين من قوقعة

أهرع إلى رمادٍ

ألقى أصواتا بيضاء

لا ألقى بنسج الآتي،

ينتظر مرحا للقادم

ها... تقدم الريح الأخيرة

على حياء الرجس كان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يشلق تل أبيب.

هرولة خلف دخان الكلام

ركض وراء أوراق سوداء

لا تطلع

إمطاء... صهوات الثرثرة

احدودبت المخرف

هو الخرف نتاج القفز

الريح لا تقتفي قحط

الكلام

مُخيمانِ يعريانِ
وَداوودُ قد سرجَ مرقصهُ
وتدلت من سفاهتهِ
أجراسُ الغُبارِ.
مُخيمانِ لا ينفضانِ
أرجلٌ في قعرِ الحساسةِ
تغلقُ
تكسحُ الطريقُ
في الريحِ تضطرمُ
وجوهُ الوُرودِ
زِدْ في العتماءِ
النورِ
في حدقتيْ .. هو النشورُ
قد بدَدْ
زبَدَ الرُعاةِ
تخسفُ من تحتِ أقدامِ
الوترِ
هذي الطريقُ

تونس في 2001

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أقلام تتطلّع

أكسّر الصّمت وأكتب ولست أدري هل قلمي يستحقّ أن يتطلّع ؟ لست أدري هل صوتي يشبهني وهل رسم ملامح تحريتي ؟ هل هذه المحاولات تستحقّ أن تكون ؟ لستُ أدري ولعلّكم - سيدي - تحددون جوابا يشفي غليل هذه الحيرة. وأتوجّه بالشكر والاحترام إلى كلّ قلم حطّ حرفا على صفحات "الإخاف" ودعتم لنا مشجّعين.

الطّالبة : رجاء الجندوبي سليانة

كلماتكَ ثمائم... لكنّها لا تحميني من الزّمن

الأشياء تسير نحو الرّماد
الزّهرة تفقد أنوثتها...
ARCHIVE
و الزمن يقوم بأقدامه هذا الحلم الأخضر
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تذوي أمنية اللّقاء

الأشياء تسير نحو الرّماد

كيف تهدر هذا العمر المقدّس في دروب الانتظار ؟

كلماتك ثمائم...لكنّها لا تحميني من الزّمن

كيف تهدر هذا العمر المقدّس في دروب الانتظار ؟

الجنود اجتمعوا في أورشيلم بين الخمر و الخمر

وأنت تدرُو على الصّمت :

.....ملوحة هذا الدّمع

.....وصوت هذا الجرح

من زمن،

.....تصقل حقدكَ حجرا

.....و الرعم يتفتّح قبرا

.....و القلب ينتظر على جمر

لو أشتق هذا الانتظار

لو أجمّع صوتي في قبضة يدي

يا أنتَ...

رجس هذا الصّمت

والمدينة تحترق

و الزّمن يطأ بأقدامه هذا الحلم الأخضر

أتشمّس في عينيكَ...

صهيل أمل قادم

أنشودة ماء

ونقمة طير يتمرّد

يا أنتَ...

أشتهي الأفلات منّي

لو أنفض عنّي كلّ حيائي

وأنتفض واقفةً... كنقمة طير يتمرّد

يا أنتَ...

يا أنتَ... إنّي أناديكَ و القدس تتهدّد

يا أنتَ... يا أنتَ هيّا نتوحّدُ

صفقة خاسرة هذا الصّمت

كلماتكَ غمائم...لكنّها لا تحميني من الزّمن

ولا تحمي القدس من القصف

ولا تحمي الجرح من سوطه

فهيّا نتوحّد...

هيّا نتوحّد...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بنـول

جمال خضيري الجنابي

كمالِ..
عزفَ على أوتار..
ما عدتُ..
كما كنتُ..
أغسل حلمي..بأوهام أوجاعي..
كمالِ..
رقصًا على جثتي..

*** *** ***

سامحيني..
لم تعد كلماتي التي تزحف..
فوق شفاف القلب..
تهجس اسمكِ...
بل صارت لعنتي..

*** *** ***

سامحيني..
لأني حبن اتهجي..
اسمكِ..
تخترق شفتي..
تقض دمعتي..

ARCHIVE
http://Archive.Sakhrit.com

قصّتان قصيرتان

بقلم : سليم الامام

قبل البدء...

عصافير الزجاج تثيرني بها ... وتشدو غير أنّا لا نعيها
تحاول أن تغنّي كل آن ... ويبقى صوتها المكنوز فيها
وتحلم أن يهشمها صبي ... لتشدو كالطيور بملء فيها.

(نور الدين صمود)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

1-وتاه التورس

"الرّايس" غاب عن الأنظار، هو ومرافقوه ضلّوا طريق العودة.أمّا مركبهم فلا أثر له. لقد أختلّ نبض الموج. الأهالي، بقلوبهم الطّافحة محبّة أولئك الشّباب، ارتبكوا حين سماع الخبر.

يوم أفاقوا على وقعه، بقي مكان المركب في الميناء شاغرا، تلطمه الأمواج بغير ذي لين...يومها قيل إنّ المركب تاه بمن عليه.يومها فقط أدرك الجميع، في تلك القرية السّاحليّة، أنّهم بحاجة ملحّة إلى تلك السّواعد، فمن الصّعب الاستغناء عن خيرة ما تكرّمت به الأرحام. وهكذا تواردت أخبار متضاربة عمّا حدا بالبعض إلى استقصاء الأمر من أفواه أهل "الرّايس".وتوافد الأهالي نحو البيت الّذي احتضنه منذ صباه لكن لا أحد أنارهم وأحمد نيران فضولهم وهكذا، باتت اللّقاءات تلتئم في بهوذات البيت. هناك تضرب المواعيد مساء كلّ يوم، هناك يطيل الجميع السّهر تتنازعهم أحاسيس تتأرجح بين أسف ولوعة.

ومع استحالة الكشف عن سرّ غياب المركب و البحّارة نسي الأهالي سبب انجذابهم نحو ذاك البيت دون سواه.

وحين ظهرت بوادر انفراج، تزاحم الأهالي نحو الميناء لتفحص ما قذف به البحـــر مـــن جـــثث. أما البيت فظل قفرا إلا من دموع أم وحيدة و...نورس ضل الطريق.

2-مـــرايـــا

باب البيت مرتج يوحي بصمت مطبق، ليل سرمد كأنما شحب على عتباتـــه غـــراب عجول، لكن حين تلج الغرف يهزك تدفق الحياة فيها... صور عملاقة ولوحـــات توشـــك أن تنطق، تتدلى عصلة صفحة الجدار ثقل العيون الجاحظة وشحوب الجباه و الوحنـــات، إيقونـــة منتصبة في أحد الأطراف، قط ضخم ممدد حذو الفراش ومحشو بتبن طري...كلـــــها ترشـــقه بنظرات فيها من الاستهجان الكثير، تنهشه كأنما تستحثه.

سحب حيطا ثابتا جنب النافذة فرفع ستار مخملي ليبدأ صفحة جديدة لفجـــر يـــوم قادم. ألقى نظرة نحو الفراش الذي كان للتو يحتضنه، عالج بقايا غشـــاوة وارت عنـــه الرؤيـــة بحركـــات سريعـــة بطـــرق سبابته، لا أثر لزوجته. وتذكر بعد لأي أن عليـــها أن تقضـــي الليلة بين أسرة المرضى بالمستشفى.

ولج بيت الاستحـــمام بتـــؤدة، متجنبا المرايا العديدة التي تحتل أركانـــا متبـــاعدة مـــن البيـــت، وخصوصا تلك التي تتوسط ركن المغسل. فعلى واجـــهاتها أوراق طـــائرة عليـــها كلمات مألوفة للعتاب وأخرى لأوكد مستلزمات البيت تخطـــها الزوجة بحبر غليـــظ كلمـــا سبقته إلى الخروج. اغتسل ورتب شعيرات غطت صدغيه وقفا رأسه، تاركـــا أخـــرى تطـــل باحتشام من عـــلى صفحة ذقنه، فلا بأس أن يتعمد السهو عنها.

قطع الشارع في اتجاه مقهى العامرية، فهو يود دائما أن يفتـــح صباحاته بطبق "العـــم يحي" الموشح بوردة حمراء قانية. بقنينة الزهر، وبقهوة يفوح منها بـــن مميز..مـــع ابتـــسامة ظريفة ولمسات رشيقة لذاك النادل الأنيق. وفي ذات الحين، لما هم بمغادرة المحـــل كانـــت فاطمة زوجته تغمد المفتاح في فتحة الباب. دخلت البيت وقد بدت على ملامحـــها علامـــات إنهاك. ارتمت على الفراش تتوق إلى لحظات من الراحة. وما لبثت أن نهـــضت للتـــأكد مـــن أمرها. سارت وسط البهو ثم تمهلت لتقف أمام المرآة التي تركت أسفلها هديـــة لـــه. الهديـــة بقيت ثابتة في مكانها وعلى واجهة المرآة ورقة كتب عليها : عيد ميلاد سعيد.

قصّـــة قصيرة :

رقـــصـــة قلـــم

منير كـــريـــتو

دخلـــتُ إلى غرفتي الصّغيرة، أضـــأت نورها، ورتّبت فراشها، و جلست علـــى الكرسيّ قبالة الطّاولـــة، هـــذه الطّاولـــة الّتي عليها عشائي وعملي أكتب ما أعيـــش به عليها. و لكنّني هـــذه الـــمرّة لا أجـــد ما أكتـــب. كيف لا أكتـــب ؟ و إذا لم أكتب لن أعيش ولن أكل فـــوق هـــذه الطّـــاولـــة. أفزعتـــني هـــذه الخواطـــر وجعلتني أجوب أطراف هذه الغرفة الضيّقـــة وأنـــا أسير متعثّرا أحـــاول دفع الجـــدران لعلّ الغرفة تتّسعني و تتّسع ما بصدري مـــن وهن وضيق. ظلت حائرا بين أرجاء مكتبـــتي الّتي أغلـــب كتبها علـــى الأرض، فـــهذه الكتب هي الأثاث الّتي تتكوّن منـــه هـــذه الغرفة.

جلســـت على حافة الفراش أبحـــث عن فكرة جديدة أجعلها موضوعا جيّـــدا وحديثا يستسيغه القرّاء و يرضيني أنا، فلـــم يعـــد شيء يستهويني فكلّ مـــا يكتـــب كذب ونفاق، إنّني أبحث عن موضـــوع أقتـــرب بـــه إلى واقع الإنســـان، لكنّـــي محاط بأملاك وأشواك تجعلني لا أكتب مـــا أفكّر به وما أريده، فليس كلّمـــا يكتـــب ينشر ! ما عساني أن أكتب هذه اللّيلـــة ؟ هذه العبارات أصبحت ترافقني و كأنّـــها موجودة على الطّاولة، أمّا عن قلمي فـــهو ينتظر ساعة الرّقص ليؤدّيَ رقصته المحبّـــذة، والّتي تركها منذ سنوات عندما هجـــرت موسيقاه و أصبحت أتبّـــط وســـط هـــذه الضوضاء وهذا الصخـــب أكتـــب مـــا يكتبون وأردّد ما يقولون. لكنّ الموســـيقى الّتي توجد بداخـــلـــي والّـــتي تسكـــن ذهـــني لم تنهيأ بعد و لم تســـتعدّ آلاتهـــا للعزف. بقي القلم في جموده وهو يحـــاول القيام و لكنّه لا يصدر، يحملـــه صاحبـــه ويداعبه بين أصابعه مداعبة لطيفة.

يفرح القلم ولكن ما إن تمرّ بعض الدّقائق وتبدأ الموسيقى حتّى تتقطّع الأوتار و يقف القلم فيسقط على الورقة ويبقى صاحبها في حيرة من أمره.

أعدت ترتيب أوراقي من جديد أحاول بذلك أن أبعث في نفسي حالة من الحزم وتجديد الثّقة و تجميع الأفكار. هذه الأفكار المستعصيّة أو قل هي تخامرني و لكنّني أبعدها عن ذهني ولكنّها تحاول كلّما حاولت كتابة سطر واحد إنّها فكرة لا يمكنها أن تلحّ عليّ كلّما حملت قلمي.

بقيت هذه الحالة من القلق والتوتّر الّتي أعيشها في استعداد لإزعاجي طوال هذه اللّيلة الّتي كان نهارها نهارا ثقيلا عليّ، حيث رجعت من مقرّ الجريدة و أنا أحمل حيرتي ومهانتي فقد هدّدني رئيس التّحرير بالطّرد إذا لم أقدّم له مقالاتي غدا.

ما أصعب دقائق هذه اللّيلة و أنا عاطّ هيجان الغضب من رئيس التّحرير ومن فتور أفكاري العاجزة عن إنتاج ولو مقال واحد أنقذ به معاشي و عملي.

كيف أكتب و هذه الفكرة تراودني وتخيّم على ذهني ؟

في لحظة من لحظات شرودي استوقفتني فكرة مفادها أن أعدّ من واحد إلى عشرة و بعد هذا العدّ، الفكرة الأولى، الّتي تراودني أكتبها و لو كانت ساذجة فالسّذاجة و البساطة هي الّتي يطلبها رئيس التّحرير أو قل كلّ رؤساء التّحرير فالأكلات الدّسمة عفوا، المقالات الدّسمة مرفوعة في مجالنا وفي كلّ المجالات...

بدأت بالعدّ حتّى و صلت إلى العدد تسعة، ولكنّ الأفكار الّتي أحلم أن تتدفّق عليّ لم تأت، رفعت رأسي قليلا فإذا بي أشاهد صورة امرأة شبه عاريّة ملصقة على الجدار، فتحركت سواكني واشتهيت مفاتن هذه الفتاة. أكملت عدّي بوصولي إلى العدد عشرة، وإذا بي أسبح في موضوع هو كيف يمارس الجنس مع فتاة مستعصيّة دون اغتصابها، بدأت في التّفكير وشرعت في رسم خطّة لهذه العمليّة. فبدأت بحسن العبارة وحلاوتها و لطافتها هذه الوسيلة الّتي تمهّئ من هيجان هذه الفتاة المستعصية وتجعلها تتقبّل الغزل اللّطيف دون إثارة حفيظتها وكبريائها ثمّ يكون الاقتراب منها شيئا فشيئا وصوله إلى اللّمس الّذي

يجب أن يكون بلطف فإنّ وجد منها حدودا تراجع و عاود الكرة من جديد. توقّفت عند هذه العبارة فوجدت نفسي غارقا في موضوع لا يقبله أحد علنا بل خفية وأنا أكتب في صحيفة فعبث ما أنا كاتبه. فشلت إذن في محاولتي فعدت إلى حيرتي و فترت أحاسيسي وشهواتي الّتي بدأت أحسّ بها وكأنّي أمام هذه الفتاة فعلا.

بدأت من البحث عن موضوع وبدأت أداعب شعري الّذي كثر تساقطه واستنكفت من هذا المشهد وأنا أرى هذه الشّعرات تتساقط الواحدة تلو الأخرى وكأنّها أيّامي الّتي تتهاوى تعلن عن النّهاية. بقيت أتأمّل هذه الشّعرات فتساءلت عن سبب تساقطها. بدأت أفكّر في هذا الموضوع بجديّة وحاولت أن أكتب فيه و لكنّني لم أستطع أن أحرّر و لو سطرين لأنّي لم أجد السّبب الحقيقي أو قل لم أجد أيّ سبب لأنّ معرفتي الطبيّة زهيدة وحتّى معرفة الأطبّاء كذلك فهم يجيبون أنّه مرض وراثي وكفى، كأنّهم بهذا السّبب يبرّرون عجزهم عن إيجاد الدّواء النّاجع لهذا المرض. تراجعت عن هذا الموضوع العلمي الّذي ليس من اختصاصي و أنا المطالب بالتّحاليل الاجتماعيّة و الاقتصاديّة والسّياسيّة...

بقيت أداعب هذه الشعرات و قمت بتسميّة كلّ واحدة باسمها، فهذه السّوداء والأخرى البيضاء وهذه السّمراء والرّقطاء... ثمّ حرّكتهنّ حتّى امترحن ثمّ فصّلتهنّ عن بعضهنّ وحاولت أن أكتشف أسمايهنّ و لكنّني عبثا أحاول فلم أكتشف اسم شعرة واحدة وهي البيضاء، فهي شعرة عجوز، فخامرني سبب شيب الشّعر، ولكنّني لم أجد جوابا ثمّ تساءلت عن أسئلة كثيرة، ما الموت؟ ما الحياة ؟ من هي المرأة... لعلّ هذه الأسئلة تدخلني إلى موضوع جديد. ما هذه الحالة الّتي أعيشها، أكلّ هذا عجز عن إيجاد موضوع أتخلّص به من وهن ؟ ! ماهو الحلّ وهذه الأفكار تراودني كلّ يوم، وأنا المطالب بالكتابة في كلّ يوم؟! ربّما أجد اليوم ما أكتب ولكنّ غدا ماذا سأكتب فكلّ الطّرقات عليها إشارات حمراء وعلامات "قف" "احذر" "ممنوع" "خطر"... ما هذه العلامات الّتي تعكّر صفو حياة الإنسان ما هذه الحياة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وماهذه المسيرة الّتي لا يستطيع الإنسان أن يسيرها كما يريد، فكأنّه شاة من مجموع قطيع يسيّر ما راع قلس.

جلست و حيدا تائها أتابع عزف ذهني وما يشير به عليّ من حين إلى آخر وأنا أذكّيه بالشّاي و القهوة. و في لحظة هذا العزف قرّرت أن أبادر بكتابة هذه الفكرة أو أقلّ هذا المشروع الّذي أرهقني وأرّقني. قرّرت في هذه الأونة أن أكتب غير مبالي بعلامات المرور. انطلقت في الكتابة و بدأ القلم بالرّقص فاهتزّ فرحا و بدأت الموسيقى تنبعث في كامل أرجاء الغرفة.

بدأت المقالات تتحدّد وأصبحت الأرقام تتالى وأشرفت السلسلة الأولى على الاكتمال وحان موعد تحقيق الحلم.

اكتملت السلسلة الرّابعة واكتمل ليلي معها وأنا لم أقم من على الكرسيّ. فتحت النّافذة فإذا به الصّبح قد انبلج والشّمس قد بزغت وقد حان موعد العمل.

انصرفت بسرعة إلى ترتيب أوراقي وغسل وجهي ثمّ خرجت متوجّها إلى مقرّ الجريدة. اتجهت فور وصولي إلى مكتب رئيس التحرير. طلبت من السكرتيرة الدّخول فطلبت منّي حتّى يخرج ضيف المدير. جلست على الكرسيّ وبقيت أرمق السّكرتيرة بنظراتي الخاطفة، مرّة على نهديها البارزين وأخرى على رجليها الصافيتين وهي ترتّب ملفّات المكتبة. أحسّت بنظراتي ولكنّها لم تفعل شيئا بل حاولت أن تزيد من حركاتها كأنّها فاحدة إثارتي وإيقاذ شهوتي بل فعلت أكثر من هذا فقد اقتربت منّي...و لكنّ باب المدير قد فتح وتبكت السكرتيرة و بسرعة فائقة رجعت إلى مكتبها وهي تشير إليّ بلطف أن استعدّ للدّخول.

حملت أوراقي بيدي و شددت همتي وشحنت لساني ودخلت إلى مكتب المدير، فاجأني المدير بقوله : " آه. وأخيرا ! هيّا هات ما عندك ". وقفت أمامه جامدا وأنا لا أدرك ماذا سأقول له، و لكنّني أحسست برغبة شديدة في إلهاء هذا الموضوع وقلت في نفسي "كلّنا ميّتون، ما بقي فيها أحد " وجّهت نظري إليه وقلت بثقة: " يا سي عبد القادر هذه الأوراق صامت و إنّني أدرك أنّه ليس من السّهل نشرها و لكن واجبها تجاه وطننا يقتضي منّا المبادرة

والمحازفة لكشف الحقائق و هذا هو الدور الذي يجب أن يضطلع به الصحفي الحقيقي، فعلينا أن نساعد شعبنا وتخلصه من أوضاع الاستغلال والاحتكار والغش وما شابه ذلك، وإنني بهذا العمل الذي أعددته أساهم في كشف خيوط لعبة يقوم بها عدد من كبار التجار ومديرو الشركات الكبرى وقد حاولت أن أكشف عن الأعمال المشبوهة التي يشترك فيها عديد الأطراف من وراء سلطانهم و مراكزهم الإدارية والسياسية هؤلاء هم الأشخاص الذين يريدون خراب البلاد وإفلاسها..." أوقفني مدير التصوير وهو يقول لي: "مهلا.... مهلا ..." أربكتني هذه الكلمات و لكنني سرعان ما عدت إلى حزمي وواصلت حديثي : " و أنا كمواطن و صحفي محب لهذه البلاد من واجبي أن أكشف عن هذه المهزلة التي يقوم بها هؤلاء المحتكرون والمستغلون والسياسيون الظالمون..." ثم بدأت في تسمية أعضاء هؤلاء اللعبة وخاصة منهم الذين يوجدون وراء الستار. أوقفني المدير من جديد وهو مستغرب من كلامي فطلب مني أن يتسلم هذه الأوراق للاطلاع عليها و لكنني أدركت أنه لا ينوي نشرها لأنه من المستحيل أن ينشر شيئا يدينه فهو من الأعضاء الذين يساهمون في خراب هذه البلاد ولكنني لم أذكره و لكنه علم بما أعلم وأحس بخطورته.

حاول أن يهدئ من ثورتي و حماسي وقال لي:

- يا أستاذ اجلس، وسننظر في الأمر، ما لنا وهؤلاء، نحن نريد مسائل بسيطة تتناول مشاغل الناس العادية و اليومية....

قاطعت كلامه و قلت بأعلى صوتي :

- و هذه أليست من أهم مشاغله !

حسن و لكن هذه مسائل خطيرة و لا يمكن نشرها.

- إذن أنت لا تريد نشرها؟

- من المستحيل نشرها من المستحيل... !

- و لأنه مستحيل فأنا لن أكتب شيئا في غير هذا الموضوع و سأحرص على نشر هذه المقالات في صحيفة أخرى. و أنا منذ هذه الأونة منقطع عن العمل.

خرجت من مكتبه و أنا ألعن اليوم الذي رضيت فيه أن أعمل في هذه الجريدة و كيف سمحت لنفسي أن أكتب طوال هذه السنين متغافلا عن أهم المواضيع التي

تشغل بال الإنسان الكادح و المستضعف.

تحمست للذهاب إلى جريدة أخرى وأنا معاض من تلك القذارة التي كان عليها هذا المدير وهو يحاول رشوتي. كيف لا يرشيني وهي وسيلة في معاملاته المشبوهة.

ذهبت إلى مقر جريدة أخرى وقابلت مديرها وعرضت عليه مقالاتي و لكنني لم أجد منه قبولا وخرجت من مكتبه وكأنني مطرود أو قل مطرود، ولكن بطريقة منمقة وهو يقول لي "أخرج من هذه اللعبة أحسن لك".

عدت إلى البيت و أنا متعب من أثر قلة النوم. أخرجت المفتاح من جيبي وهممت بفتح الباب و لكنني وجدته مفتوحا، دخلت مسرعا و إذا بي أشاهد خرابة وليس بيتا. لقد اقتحم البيت وفتش كل شيئ بل أتلف كل شيء . مشيت بخطوات متثاقلة أتفحص الأوراق المتناثرة متدهشا مما حدث.

ما زلت أحدق فيما حصل للغرفة حتى وجدت نفسي محاصرا بمجموعة من الرجال الواحد منهم يسد عمرا. أمرني أحدهم أن أعطيه الملف الذي بيدي، حاولت مسك الملف بشدة معلنا عن رفضي و لكن عبثا أحاول فإذا بأحدهم ينتزعه مني.

انهالت علي اللكمات من أجل هذه اللعبة أحسن لك".

عدت إلى البيت و أنا متعب من أثر قلة النوم. أخرجت المفتاح من جيبي وهممت بفتح الباب و لكنني وجدته مفتوحا، دخلت مسرعا و إذا بي أشاهد خرابة وليس بيتا. لقد اقتحم البيت وفتش

هذه الكلمات ونكلوا به تنكيلا ومارسوا عليه أقذر أنواع التعذيب و هم يطالبونه بمصادر هذه الوثائق و لكنه صمد إلى النهاية و قتل عل أيديهم وهو وحيد وبجانبه قلمه و قد هشم على الأرض معلنا عن نهاية الرقعة و توقف الموسيقى.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في الأعداد القادمة

- مسافر ..... قصة : عادل محفوظي
- أحلام رجل متفائل ..... قصة : شريفة أو قاس
- مات الصغير ..... قصة : هيثم شطورو
- البحر يبكي ..... قصة : طارق العمراوي
- نزهة ..... قصة : أنور عبد العزيز

منديل أبيض

سمر المزغني

نظر حوله، لم يجد بجانبه سوى ذاك المنديل الأسود القاتم كعادته. قبل أيّام كانت العلبة مليئة بمناديل أخرى مختلفة الألوان تتحادث وتتناقش باستمرار، غامرة المكان ضجيجا وحركة. غالبا ما كان يتروي بعيدا، باحثا عن زاويّة ينفرد فيها بصمت، والآن يتمنّى أن تعود الجلبة لتخرق هذا السّكون الخانق.

كان يعلم جيّدا أنّه ، وفي كل يوم، تقترب يد غريبة لتسحب منديلا من العلبة، وهو يعلم أنّ أحدًا لم يفهم ما تفعله اليد بالآخرين، لكن جميعهم انتظروا مصيرهم في استسلام. الآن لم يبق معه سوى منديل أسود ساهر لا ينهض إلاّ ثانيّة. نظر إلى زميله في حسرة متذكّرا تلك الأيام حين كان هذا المنزل الصّغير لا يكاد يسعهم، و لم يخطر في باله أبدا أن يطلّ في تلك اللّحظة من العلبة. على أنّه لو أطلّ لرأى سلّة مهملات تعجّ بأصدقائه ولأمكنه، ربّما، أن يتخلّص من هذه الوحدة القاتلة. فكر طويلا وقرّر أخيرا أن يهرب قبل أن تختطفه تلك اليد المجهولة.

تغلّب على ارتباكه وخوفه وقفز متعمدا بكلّ عزم وشجاعة، سمع من بعيد وقع أقدام. دخل في تلك اللّحظة طفل مشاغب. اقترب من العلبة وجذب بيطء المنديل القاتم. بدأ يرسم أشكالا غريبة، إلاّ نّ المنديل الأسود تمزّق، فتأكّد حينها الصبيّ أنّه لا يحتمل رؤوس الأقلام. رماه في السلّة مع البقيّة وقذف بالعلبة فيها. وحده المنديل الأبيض رأى دموع زميله وهو يتمزّق كلّما مرّ به القلم. حاول المنديل الأبيض إنقاذ أصدقائه، لكن العلبة كانت ثقيلة. قفز مع الشيّاك وقبل أن يصل الأرض هبّت ريح خفيفة حاملة إيّاه في رقّة. أحسّ

بالاسترخاء و الانتعاش، لكن الرّيح هدأت وألقى نفسه في بركة ماء. رفع رأسه. شاهد أقداما ضخمة تسير، لكنّه لم يجد من ينحني ليقذه من الغرق. بدأ يبكي، وفجأة أحسّ بصخور تنغرس في جسمه بوحشيّة. صاح متألّما، لكن القطّة لم تبال به وسارت ماسكة إيّاه بين أسنانها. ظنّته قطعة جبن فأرادت في خبث أن تغري به فأرا تعبت من ملاحقته، لكن الفأر لم يقترب من الطّعم، غضبت القطّة وقطعت يد المنديل. فعلت ذلك بسهولة لكنّه وجد صعوبة في تحمّل كلّ تلك الآلام المشابهة الّتي تحمّلتها المناديل الأخرى بين يدي الطّفل المشاغب. فتح عينيه، إنّه بين يدي فتاة تريد خياطة ثوب لدميتها. غرست فيه خيوطها وقصّته بالمقصّ. شعر بوخزات الإبرة في فمه وذقنه بيد أنّه لم يصرخ لأنّه يعلم جيّدا أنّها لن تسمعه بل استرخى وخلد للنّوم...

ها هو الآن في الشّارع من جديد، قبل أن يكتشف المكان الّذي وصل إليه. مرّ قطار سريع. ها هو يطير ثانيّة، ارتفع فوق القطار. إنّه يعلو ويعلو حتّى لكأنّه فوق السّحاب. لقد تشبّث أخيرا بشيء ورأى من بعيد الصّبيّ المشاغب كحافظة أقلام. اكتشف حينها أنّه معلّق على سارية علم واقتنع بأنّه رغم كلّ ما حصل ما يزال محتفظا بلونه الأبيض.

في تلك اللّحظة فقط، بدأ المنديل الأبيض يخفق في فرح، وترك باطمئنان ابتسامة رضى ترتسم على فمه الممزّق.

2002/02/24

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com